

سليم وبشاره تقلا مؤسسا الاهرام

بقلم نقولا يوسف

* * *

يعزو المؤرخون للصحافة العربية نجاح جريدة « الاهرام » كبرى الصحف العربية المصرية اليومية، وبقاءها الى اليوم عاملة متجددة فتية ، تواصل مسيرها قدما في مثابرة وثبات ، منذ ولادتها بالاسكندرية يوم ٥ من آب (اغسطس) ١٨٧٦ ـ او منذ تسعين ونيف من السنين ـ الى ذلك الاساس الوطيد الذي ارساه منشئاها الاولان : سليم وبشارة تقلا ، الموهوبان سجايا الكفاح والجلد وصدق العزيمة ، والاخلاص في العمل والخدمة العامة ، الى جانب الحاسة الصحفية التي دعت الى المرونة السياسية في اجتياز المآزق ، والمرونة الضرورية التي يفرضها تجدد الحياة وتطورها .. والوداعة الانسانية التي لا تستنكف من مشاركة العامل في صف الحروف والطبع والتوزيع وما أشبه ..

في مطلع العام الحالي استقرت « الاهرام » في دارها الجديدة الشامخة بالقاهرة واصدر محرروها المعاصرون في هذه المناسبة « عددا خاصا » ألحق بها يوم ١٠ من يناير ١٩٦٩ مشتملا على كلماتهم التاريخية وذكرياتهم ، واصلين الحديث بالقديم ، ومشيدين بذكر العاملين السابقين واللاحقين .. ثم عادوا في اعداد تالية فقصوا أثر الجريدة في سيرها المطرد خلال تلك السنين (١) .. وما زال اسما الاخوين سليم وبشاره تقلا يطالع قراء الجريدة في أعلى صفحتها الاولى مع عام التأسيس ..

فأوحت هذه الذكريات بالمشاركة في هذا التاريخ ، بنشر الكلمة التالية وهي احدى فصول كتاب وضعته منذ عهد قريب ولما يطبع بعد عن « اعلام الاسكندرية قديما وحديثا » وعددت فيه كلا من المرحومين سليم وبشارة تقلا بين اعلام هذه المدينة في عصرها الحديث .. فقد عرفنا عام البلدة بالمواطن الذي قضى بها زمنا مثمرا ، أتيح له فيه الاندماج في مجتمعها والتأثر بحياتها ، ثم ترك بعده في تاريخها اثرا واضحا ما برح يذكره به اهلها .. وهنا لا تسبق اهمية المولد او الوفاة في البلدة قيمة الاثر النافع ، الخالد الذكر .. ولقد عاش سليم تقلا بالاسكندرية منذ ان هاجر اليها عام ١٨٧٥ حتى وفاته عام ١٨٩٢ اي سبع عشرة سنة موفورة ، وعاش بها بشارة تقلا منذ هجرته اليها حتى انتقاله مع الاهرام الى القاهرة نحو ربع قرن .. وكانت « الاهرام » وملحقاتها من صحف ونشرات وكتب تطبع وتصدر بالاسكندرية .. كما كانت من معالمها البارزة ومراكز اشعاعها ..

سليم تقلا ١٨٤٩ ـ ١٨٩٢

ولد سليم تقلا منشىء صحيفة « الاهرام » في كفرشيما بلبنان عام ١٨٤٩ أيام الحكم العثماني ، وعام وفاة محمد علي والي مصر ..

ونقف هنا برهة لنحيي هذه البلدة الصغيرة « كفرشيما » مسقط رأس الشقيقين سليم وبشاره تقلا ، الجاثمة جنوبي بيروت بجوار « الشويفات » على الطريق الممتد قريبا من البحر المتوسط سائرا الى سهول صيداء .. فقد أنبتت هذه القرية خلال القرن التاسع عشر طاقة زاهرة من اعلام الادب والصحافة . فيها ولد الشيخ ناصيف اليازجي عام ١٨٠٠ وابنته الشاعرة وردة اليازجي ١٨٣٨ وبها نشأ ابناه الشيخان ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ وخليل اليازجي ١٨٥٦ وفيها ولد من آل شميل الادباء ، أمين شميل ١٨٢٨ ودكتور شبل شميل ١٨٥٠ وسبع شميل ١٨٦٨ ورشيد شميل مؤسس جريدة البصير بالاسكندرية .. وغيرهم .. وفي هذا العصر برز منها الشاعران المهجريان الشيخ سعيد اليازجي والياس فرحات .

ودرس سليم تقلا اللغة العربية على الشيخ نصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني ، واختارته « المدرسة البطريركية » لتدريس اللغة العربية بها ، وشب اديبا محبا للمطالعة والكتابة ونظم الشعر (٢) ـ ولكنه كان يحس كغيره من أهل القلم والفكر حوله بوطأة الحكم التركي ، وحجره على اقلامهم وآرائهم ، فانضم الى موكب المهاجرين الى مصر وغيرها من الاقطار التي كانت تتمتع بحرية نسبية ..

وفي عام ١٨٧٥ قبيل تولي عبدالحميد الثاني السلطنة ، وفي اواخر حكم الخديوي اسماعيل بمصر ، ارتحل سليم تقلا الى الاسكندرية واستوطنها الى اخر حياته . وكان في السادسة والعشرين من عمره .. وشرع عقب وصوله اليها في انشاء مطبعة وجريدة تحملان اسم «الاهرام» اشهر الاثار المصرية .. واتخذ لهما دارا في حي المنشية ، وبدأ باستصدار الرخصة من « نظارة الخارجية » المختصة يومذاك بمثل هذا التصريح .. واستفسرت النظارة عن محتويات الجريدة واهدافها خشية خوضها في « السّياسة » الداخلية لحكومة أسماعيل .. فشرح سليم اغراضه ، « ان الجريدة الملتمس انشاؤها تحتوي التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية ، وكذا من المقاصد طبع كتب كمقامات الحريري وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والاشياء التاريخية والحكم والنوادر ، والاشعار والقصص الادبية وما شاكل ذلك من الاشياء الجائز طبعها بدون ان اتعرض مطلقا في الامور السياسية .. » وتعهد بمراعاة قانون المطبوعات . وبذلك منحته النظارة الترخيص المطلوب ، وكتبت الى محافظ الاسكندرية بموافقتها في ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥ وعد هذا التاريخ بدء تأسيس الجريدة (٣) ...

ولم تكن جريدة الاهرام اول صحيفة عربية تصدر بالاسكندرية او غيرها من بلدان الشرق العربي ، ولكنها تفردت بالاستمرار والتجدد وطول العمر بين جميع ما أصدره الافراد بجهودهم الشخصية .. فمما سبقها بالاسكندرية جريدة « الكوكب الشرقي » التي أصدرها سليم حموي في ٦ أغسطس ١٨٧٣ « سياسية أدبية أسبوعية » ـ وأتبعها بصحيفة يومية سماها « شعاع الكوكب » في نهاية العام نفسه ، وكانت تجامل الخديوي اسماعيل ومع ذلك عطلها لغير سبب واضح ، فعاد بعد فترة وأخرج جريدة « الاسكندرية » الاسبوعية عام ١٨٧٨ ، واحتجبت بعد قليل .. بينما كانت تصدر بالقاهرة صحيفة « وادي النيل » لصاحبها عبد الله ابو السعود منذ ١٨٦٧ مدافعة عن الخديوي، وتوقفت في اواخر عهده لتعود الى الاسكندرية عام ١٩٠٨ جريدة وطنية جديدة ثم احتجبت بعد بضع سنوات .. اما اقدم الصحف العربية على الاطلاق : « الوقائع المصرية » التي بدأت عام ١٨٢٨ في عهد محمد

علي وما زالت تصدر الى اليوم ، فهي جريدة حكومية تعينها أموال الدولة لنشر القرارات والقوانين الرسمية (٤) ..

وفي تلك الاثناء ، عقب وصول سليم تقلا الى الاسكندرية ، لحق به أخوه بشاره تقلا ، وتعاونا على انشاء المطبعة والجريدة ، وظلا نحو سبعة اشهر يعدان المطبعة ومسبك الحروف ومصنع تغليف الكتب وما أشبه ، ويعلنان عن الصحيفة ويصدران نماذج لها .. ثم صدر العدد الاول من « الاهرام » يوم ٥ من أغسطس ١٨٧٦ ، جريدة اسبوعية تصدر بالاسكندرية كل سبت في اربع صفحات متوسطة الحجم ، حسنة التبويب ، نسقت فيها الاخبار المحلية والخارجية ، واللوائح والقضايا ، الى جانب المقالات الاجتماعية والادبية التي كان يختص سليم تقلا بمعظمها .. واستهل العدد الاول بكلمة صحفية جاء بها :

« هذا هو العدد الاول من السنة الاولى لجريدة الاهرام ، المرعية بعناية الحكومة السنية ، والمستعدة الاستعداد التام لان تجعل من يتصفح صفائحها واثقا بما يطالعه ، لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة ، فتوفي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور ، والاستقبال مشاهد . فعلى اولى الغيرة والهمة مد يد المساعدة الادبية المنتجة المادية . وذلك بالاقدام على الاشتراك فتتشجع ولا نبالي بالصعوبات الابتدائية كيف كانت . وعلى الجمهور ان يلاحظ من عدد الى عدد التقدم الذي يحدث بالتدريج . فانه من المؤكد ان كل ابتداء صعب ، وان ثبات البناء موقوف على رسوخ الاساس واحكامه .. »

ويبدو ان الجريدة لم تظفر في اول عهدها بمعونة مادية سواء من الحكومة ام من موارد الاعلان ، بقدر ما ظفرت بالتعضيد الادبي من جانب المثقفين وكان في مقدمة المرحبين بها الاستاذ الشيخ محمد عبده قبيل تخرجه في الازهر ، والذي كان اقرب التلاميذ الملتفين حول السيد جمال الدين الافغاني في اثناء مقامه فيما بين ١٨٧١ ـ ١٨٧٩ وكان السيد في دعوته الى الاصلاح والنهوض بالشرق يحث تلاميذه على الكتابة في الصحف لتنوير الرأي العام ، واشتهر منهم الامام محمد عبده وسعد زغلول وأديب اسحق وغيرهم .. وبدأ محمد عبده ينشر في الاهرام بوكير مقالاته ورحب بها سليم تقلا ونشرها تباعا . وكانت أولاها في سبتمبر ١٨٧٦ تحية للصحيفة الجديدة كتبها بالاسلوب التقليدي القديم ومما جاء بها : « .. جريدة الاهرام المؤسسة على أحكم قواعد الاحكام ، الكاملة بارشاد المسترشدين وتنبيه الغافلين .. تنادي بمقالها وحالها : حي على الفلاح ، وهلموا الى موارد النجاح ، لا تقفوا عند صورة المبنى ، ولكن تجاوزوا عنه الى المعنى ... » ثم كتب بعد هذا التقريظ أربع مقالات بعناوين : « الكتابة والعلم » و « المدبر الانساني والمدبر العقلي الروحاني » و « العلوم العقلية والدعوة الى العلوم العصرية » و « التحفة الادبية » ـ ويرى احمد أمين (٥) أن هذه المقالات « تدل على تاثره بالكتب الفلسفية الشرقية التي درسها ، وعلى رغبته الخيرة في الاصلاح ، وعلى ما يبشر بالخير منه ، اكثر مما تدل على اسلوب قوي وبلاغة ممتازة . ثم اتصل بالصحافة اتصالا قويا بعد أن نال شهادة العالمية .. »

واذا كان الامام محمد عبده قد بدأ حياته القلمية على صفحات الاهرام منذ عامها الاول ، فقد تبعته هناك على مر سنيها المئات من اقلام الكتاب والشعراء والعلماء وشيوخ الدين والزعماء الوطنيين والساسة والاقتصاديين ـ التي كان يرحب بها سليم وبشاره تقلا ومن سار على نهجهما ـ مما جعل مجلدات هذه الصحيفة سجلا لتطور الحياة الادبية والمادية في الشرق العربي بخاصة ، خلال تلك الاعوام التسعين ونيف يرجع اليه المؤرخون للاقلام وعصورها ، واهتماماتها وتطوراتها ..

ويحدث ان يخرج سليم تقلا صحيفته في وقت كان فيه الجو السياسي خارج البلاد وداخلها معا عاصفا مضطربا . فكان عليه ان يسير بقاربه وسط التيارات العنيفة في حذر ويقظة .. ففي الخارج ، وبخاصة فيما يتعلق بالدولة العثمانية التي كان يرتبط مصيرها بمصير الشرق العربي ، كانت ترد الانباء منذ عام ١٨٧٥ عن ثورات دول البلقان المطالبة بالاستقلال ، وتأييد روسيا لها ، وتحرك « المسألة الشرقية » .. وكان حزب « تركيا الفتاة » يطالب بالاصلاح .. وتتلاحق الحوادث فيخلع السلطان عبد العزيز في مايو ١٨٧٦ ثم يقتل ، ويخلفه مراد الخامس فيخلع ايضا بعد ثلاثة اشهر ، ويعقبه عبد الحميد الثاني وحكمه الدموي ، وتعلن الصرب والجبل الاسود ثم روسيا الحرب على تركيا عام ١٨٧٧ ويحتل الروس أدرنه ويهددون القسطنطينية ، ثم يعقد الصلح .. ويتدخل الانجليز ...

ويرى سليم تقلا ان جريدته « الاهرام الاسبوعية » لا تساير الانباء المتلاحقة ساعة بعد اخرى ، فيصدر معها صحيفة يومية في ٣ سبتمبر ١٨٧٦ سماها « صدى الاهرام » .. كانت توزع نهارا وليلا وبها اخر انباء الحرب والاخبار المحلية والمقالات .. وعطل اسماعيل هذه الجريدة بعد سنتين من ظهورها لانها انتقدت تصرفاته وانتصرت للفلاح المظلوم .. فاصدر سليم عام ١٨٧٧ جريدة اخرى سماها : « حقيقة الاخبار » لاذاعة الانباء « التلغرافية » .. واعقبها بصحيفة « الوقت » التي أغلقت في الثورة العرابية . وفي هذه الصحف جميعا كان يبدو الانحياز واضحا نحو الدولة العثمانية في محنتها ..

اما في داخل البلاد المصرية فكانت الازمات المالية والمشكلات السياسية والثورة الفكرية ، تزداد تفاقما بسبب طغيان الخديوي اسماعيل واسرافه ، واستدانته من الدول الاوروبية وعجزه عن تسديد الديون ، وفرضه الضرائب الثقيلة على الفلاح وسائر افراد الشعب ، وأدى عجزه هذا الى تدخل الدول الاجنبية في شؤون البلاد حتى أصبح لها مراقبان في الحكومة ثم وزيران .. واستصدرت الدول امرا من سلطان تركيا بعزل اسماعيل وتولية ابنه توفيق مكانه ، فرحل الى ايطاليا في ٨ من اغسطس ١٨٧٩ لتبدأ احداث وازمات جديدة ..

وفي خلال تلك السنوات الثلاث الاخيرة من حكم اسماعيل ، والتي عاصرها سليم تقلا وصحفه الجديدة ، كان وهو العربي الوطني الحريص على مصلحة الشعب ، والراغب في تحرره من اشكال الطغيان ، ينشر المقالات بقلمه وباقلام الكتاب في نقد تصرفات الخديوي ، واستبداده بالرأي ، واسرافه في البذخ ، وظلمه للفلاح ، ويحمله مسئولية التدخل الاجنبي في شئون البلاد ، ويطالبه بصحافة حرة وبمجلس للشورى ..

ولما نشرت « صدى الاهرام » مقالة انتصرت فيها للفلاح المظلوم ، أمر اسماعيل بتعطيلها ، وبالقبض على صاحبيها ، فافلت سليم وسجن بشارة ، وظل محبوسا ثلاثة ايام حتى أفرج عنه وعن الجريدة بوساطة بعض الكبراء ومنهم توفيق ابن الخديوي الذي كان قبل توليه الحكم يعطف على الحركة الاصلاحية وعلى السيد جمال الدين الافغاني ثم تنكر لدعاة الاصلاح ولمبدأ الشورى عقب حكمه .

ثم عاصر سليم تقلا حكم الخديوي توفيق من بدايته عام ١٨٧٩ الى نهايته ١٨٩٢ وهادنته صحفه اول الامر وهو من حماها من بطش أبيه ، متوقعة شيئا من الاصلاح والتغيير على يديه .. وكانت المصاعب تكتنف البلاد من كل جانب ، فالخزانة خالية ، والتجارة كاسدة ، والجيش يعوزه التنظيم ، والشعب ساخط .. ومع ذلك عمد توفيق الى الاستئثار بالسلطة ، ورفض مقترح وزيره شريف بجعل الحكومة شورية نيابية ، وجدد « المراقبة الثنائية » ، واذن للمراقبين الانجليزي

(١) الاهرام ١٠ يناير ١٩٦٩ مقالات لمحمد حسنين هيكل ، وتوفيق الحكيم ، ودكتور حسين فوزي ، وتوفيق بحري وغيرهم .. وفي ١١ يناير لدكتور ابراهيم عبده .. وفي ١/١٧ دكتور لويس عوض ـ و ١/٢٩ لاحمد بهجت .. (٢) كتاب « تاريخ الصحافة العربية » لفيليب طرازي في أربعة اجزاء (١٩١٣ ـ ١٩٣٣) جـ ٣ عن الاهرام واصحابها ـ وكتاب « مشاهير الشرق » لجورجي زيدان ١٩٠٣ ..

والفرنسي بحضور جلسات مجلس النظار ، كما قبض على السيد الافغاني ونفاه من مصر ، وتجاهل روح الاستياء المتفشي في الجيش الذي يترأس عليه الجراكسة ، والمطالب بالاصلاح والحكم النيابي ..

وفي هذا الجو المضطرب كان سليم تقلا يسير صحيفته في حذر واعتدال وترقب ، داعيا الى اصلاح الامور الداخلية في شتى المرافق كالتجارة والصناعة والزراعة والتربية والتعليم .. ثم وجد أن جريدة أسبوعية لا تتسع لاغرضه المتعددة ، فعزم على اصدار « الاهــرام » يومية في ثوب جديد ..

وصدرت الاهرام منذ ٣ يناير ١٨٨١ « يومية سياسية تجارية ادبية فكاهية » ـ ويلاحظ اضافته صفة « سياسية » علنا .. ونشرت بيانا عن سياستها الجديدة ومنها : « انها تعد بألا تخلع على أحد نفوذا ليس له ، ثم لا مدح بلا حق ولا طعن بلا مبرر .. » وعادت الى اهتمامهــا بالمشاكل الاجتماعية المحلية والحوادث الداخاية ..

وتكفل سليم تقلا بكتابة المقالات والتعليق على الاخبار يعاونه في التحرير بعض الكتاب من الهواة والمحترفين .. وتكفل بشارة بأدارة الجريدة ، وبالتنقل بين البلاد الاوربية وارسال احاديثه مع المسئولين، ومشاهداته في الرحلات الى الجريدة .. وعهد الى عدد من المراسلين بالمدن الشرقية والغربية بموافاة الصحيفــة بالاخبــار والبحوث السياسية ..

وكان من التجديدات التي دخلت على الاهرام اليوميــة ، نشر الروايات العالمية المترجمة مسلسلة ثم طبعها في مجلدات وبيعها بأثمان زهيدة ، ونشر رسوم الاشخاص في صدر الصحيفة ،والتحدث عن الاختراعات والمستحدثات المستجدة في البلاد كالتــرام والامنيبوس والفونوغراف ، وترقيم المنازل والاحصاء وغيرها مما اصبح تسجيـلا تاريخيا .. ثم اصدار الملاحق ايام الازمات ، وتهذيب لغة الاعــلان .. واستجلاب آلة للطباعة مـن اوربا تطبع الف نسخة في الساعة لتسابق الحوادث الجارية سراعا ..

وبدأ ذلك العام « ١٨٨١ » منذرا باندلاع الثورة الوطنية التي اشتهرت بالثورة العرابية نسبة الى كبير زعمائها احمـد عرابـي .. وتتالت احداثها المعروفة : رفع عدد من ضباط الجيش في ١٥ ينايـر من تلك السنة معروضا الى رئيس الوزراء رياض باشا يضمنونه بعض مطالبهم في الاصلاح ، فيقرر الخديوي القبض عليهم ومحاكمتهم امام مجلس حربي ، فيخرجهم الجيش بالقوة .. ويسير عرابي وعلي فهمي بجندهما الى قصر عابدين ويقدمون طلباتهم الى الخديوي ، فيلبـي بعضها ويعين محمود سامي البارودي وزيرا ، ثم لا يلبث ان يعزلـه وينصب مكانه ابن أخي الخديوي ، ويصدر الامر الى فرقة عرابـي بالسفر الى الاسكندرية ، ويسير عرابـي بقسم من الجيش فـي ٩ سبتمبر ويطالب الخديوي بوزارة جديدة وبمجلس نيابي وبزيادة عدد الجيش ، تمهيدا للاصلاح ..

وتبدأ مؤامرات الدول الاجنبية ، وترسل الحكومتان الانجليزيـة والفرنسية مذكرة الى الخديوي في ٨ يناير ١٨٨٨٢ برغبتهمـا فـي مساعدته .. ويوافق الخديوي على هذه الحماية ، ويثور الشـعب منضما الى الجيش .. وتكافح « الاهرام » وسط الامواج المتلاطمة ..

وفي بداية تلك الحوادث وقفت الاهرام مع الثورةالعرابية ومطالبها العادلة وطالبت بمجلس شورى ونفت انه يخشى منها علـى مركـز الخديوي .. فلما تأزمت الامور عام ١٨٨٢ اتسمت اخبارها بالاعتدال والحذر والتريث بين الخديوي والثورة ، ولما عين احمد عرابي ناظـرا للجهادية « الحربية » اصدر امرا في اول يونيه ١٨٨٢ باغلاق الاهرام شهرا ـ وفي خلال ذلك حدثت ثورة الاسكندرية مصحوبة بالحرائق ـ واحترقت دار الاهرام فانتقلت الى مكان اخر ، وجـدد سـليم تقـلا معداتها ، واصدر في ٩ يونيه ١٨٨٢ جريدة باسم : « الاحــوال » ولم تعمر طويلا .. ثم وقعت الطامة الكبرى التي أخرجت هذه القضيـة الوطنية الداخلية المرجوة الحل ، الى مشكلة دولية استعمارية طالـت سبعين عاما ، وعاصرتها الاهرام من بدايتها الى نهايتها ، وسجلـت صفحاتها : تطوراتها وذيولها ، ومناقشتها وكفاحها ..

بدأت منذ وقف الاسطول الانجليزي امام الاسكندرية وضربهـا بقنابله يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ثم أنزل بها جنوده .. واقتحم قنـاة السويس .. ودارت موقعة التل الكبير .. واحتل الجيش الانجليزي القاهرة في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ .. وسلم عرابي نفسه ونفي زعماء الثورة وعدد من الوطنيين خارج البلاد وسجن كثيرون .. وجاء عهد الاحتلال .

واخذ سليم تقلا ومن معه من كتاب الاهرام يهاجمون هذا الاحتلال، ويطالبون بالجلاء ، وينتقدون السياسة الانجليزية في مصر ، ويحملون على اهمال الحكومة في رعاية المواطنين سواء في شئون الصحة أم في التعليم أم في الزراعة .. ثم على مشروع اخلاء السودان عقب ثـورة المهدي .. وضاقت حكومة الاحتلال بحملات الاهرام فاغلقت الجريدة في ٢٠ اغسطس ١٨٨٤ لمدة شهر عقب نشرها مقالة جاء بها ان حكومة توفيق لا تخدم مصر بل الانجليز ..

وفي ذلك العام «١٨٨٤» تألف وفد من نـواب مجلس الشورى وغيرهم ، وزاروا دار الاهرام بالاسكندرية معربـين عـن تأييدهـم وتقديرهم ، وأهدوا الى صاحبيها ساعة ذهبية رمزا لوفائهم ..

وعادت الاهرام لتهاجم تصرفات الموظفين الانجليز ممن يعينهـم الاحتلال في المناصب الكبرى ، مع المواطنين .. وتهاجم جريدة التيمس التي طالبت بتسريح الجيش المصري .. ومؤتمر لندن ١٨٨٤ الـذي دعت فيه انجلترة بعض الدول الاوربية للنظر في شئون مصر كانمـا كانت وصية عليها .. وتثني على فرنسا لمطالبتها بجلاء الانجليز العاجل ولموقفها يومذاك من القضية المصرية .

وهكذا كان روح العصر وظروف البيئة تبعث هذا الاديب بالطبع ـ سليم تقلا الى معالجة السياسة والمشاركة في حركة التحرير ، فهذا من واجبات الكاتب الملتزم ، الشاعر بهموم المجتمع وحاجاته .. وكان كصاحب جريدة مسئولة تجتمع فيه خواص الاديب والصحفي والمصلح الاجتماعي .. وهو يتوخى السهولة في التعبير ، والعناية بالخبـر والتعليق عليه في صدق وامانة ، ويكتب المقالة للتوجيه والارشـاد والتثقيف .. ويبادر الى ترجمة اقوال الصحف الاجنبية الى قرائه .

ويصفه بعض عارفيه بأنه كان اديبا وانسانا ، يجيد اللغة العربية وقواعدها ، ذا المام بالتاريخ والفلسفة .. وشاعرا ملهما .. رضـي الاخلاق ، شديد العطف على الادباء الناشئين ، واستطاع ان يجمع حوله عددا من هؤلاء الادباء المجيدين للعربية والملمين بلغات اجنبيـة ممن ارتقوا بالانشاء الصحفي من الضعف والركاكة الـى الصحـة والسـهولـة ...

وقد رأينا كيف رحب سليم تقلا منذ بدء ظهور الاهرام بمقالات الشيخ محمد عبده وكان لم يزل طالبا بالازهر ، ثم نراه يجند عـددا من الاقلام الفنية التي تجمع بين اتقان العربية والفرنسية . وكـان للثقافة الفرنسية يومذاك اثر واضح في ميادين الصحافة والسياسـة والادب .. وممن عملوا مع سليم تقلا في صحفه : الشيخ نجيب الحداد « المتوفي ١٨٩٩ » ، واخوه امين الحداد « توفـي ١٩٢١ » وعبـده بدران « ١٩٢٤ » وخليل زينيه « ١٩٤٤ » ورشيد شميل « منشـىء

---

(٣) مؤلفات دكتور ابراهيم عبده : « جريدة الاهرام » و « اعـلام الصحافة العربية » و « تطور الصحافة المصرية » . ودكتور عبداللطيف حمزة « ادب المقالة الصحفية » .. (٤) فيليب طرازي ج ٤ قوائم بأسماء الصحف العربية واصحابها وتواريخ صدورها و « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطارة . (٥) محمد عبده لاحمد امين ١٩٦٠ ص ٣٢ .. (٦) حياة مطران لطاهر الطناحي ١٩٦٥ ص ٧١ . (٧) ديوان اسماعيل صبري ١٩٣٨ ص ٢٠٢ . (٨) الكتاب الذهبـي للبصير ـ الاسكندرية ١٩٤٧ ص ١٠٠ .

البصير » ، ودكتور شبل شميل « ١٩١٧ » وغيرهم .. كان منهم من يكتب المقالات ويترجم ، ومن يراسل الصحيفة من القاهرة مثل رشيد شميل ، ومن يكتب ويصف الحروف مثل امين الحداد .. بينما كان بشارة تقلا يقوم بالكتابة والترجمة والادارة ثم المراسلة من الخارج ..

ولم يعمر سليم تقلا طويلا ، وتوفي في الثالثة والاربعين من العمر ، يوم ١١ من اغسطس ١٨٩٢ ، وكان قد اصيب بمرض في القلب بسبب الارهاق في العمل ، فسافر الى لبنان للاستشفاء ، ولم يمهله القدر فمات هناك ودفن في مسقط رأسه « كفرشيما » .. فانفرد بعده شقيقه بشارة تقلا بادارة الاهرام وملحقاتها ، وواصل اصدارها يوميا حتى وفاته «١٩٠١ » .

وأقيم بالاسكندرية حفل جناز شهده عدد كبير من اهل المدينة وجالياتها الاجنبية ، وهناك القى الشاعر الشاب خليل مطران قصيدة في رثائه .. وكان لهذه القصيدة قصة يرويها المؤرخون لحياة مطران(٦) وخلاصتها : ان الخليل هاجر من لبنان الى الاسكندرية اول مرة في صيف ١٨٩٠ فتى في الثامنة عشرة واستقبله بها سليم تقلا صديق أبيه واكرم وفادته ، وبعد ايام قلائل ارتحل مطران الى باريس وامضى بها نحو عامين ، ثم رجع الى الاسكندرية وبلغها مساء ١١ من اغسطس ١٨٩٢ وبلغه عند وصوله نعي صديقه سليم تقلا ، فحزن عليه وعكف على نظم مرثية طويلة ، وذهب بها في اليوم التالي في موعد الصلاة على الفقيد ، ورأى هناك حشداً من الناس على مختلف الوانهم ، وتوقع بعد الصلاة ان يتقدم بعض الخطباء والشعراء لرثاء الفقيد يعددون مناقبه وجهوده ، فلما لم يتحدث احد اندفع الفتى الى المنبر ، واخرج من جيبه قصيدة القاها في حزن وانفعال ، ولفت انظار الحاضرين ومنهم بشارة تقلا الذي استدعاه بعد أيام وسأله ان يعمل معه في تحرير الاهرام ، ومما جاء في هذه المرثية :

ألا يا سليما بعدك اعتل صبرنا ... ولم يبق من قوس له بعض منزع
لمن تورث الايات واللمح التي ... بهرن النهى من كل عين ومسمع
لك العهد منا عند قبرك اننا ... سنلبث نرعى من زمامك ما رعى
ونبكيك يا خير الرجال على المدى ... بكل فؤاد صادق الود أصمع

وقد رثاه بعد ذلك صديقه ومعاصره الشاعر اسماعيل صبري بقصيدة تصف سجاياه (٧) ،

برغمي ان يدعى ترابا واعظما ... فتى كان يدعى قبل أكتب كاتب
فتى كانت الاقلام تشهد أنه ... يجل مقام الكتب فوق الكتائب
هوى كوكبا ما البدر ليلة تمه ... بافتك من لألائه بالغياهب
فتى طبعه قد كان كالماء رقة ... فلو صب في كاس لساغ لشارب
فيا راحلا قد غاب عنا ومن تكن ... كذكراك ذكراه فليس بغائب
سلبت النهى حيا بباهر حكمة ... وعاطر اخلاق ورقة جانب

بشارة تقلا ١٨٥٢ ـ ١٩٠١

ولد بشاره تقلا في كفرشيما بلبنان عام ١٨٥٢ بعد مولد أخيه سليم بثلاث سنوات .. وتعلم في بيروت ، واختير مدرسا بمدرسة عين طوره . ثم لحق باخيه سليم في الاسكندرية مهاجرا اليها عام ١٨٧٥ وكان في الثالثة والعشرين .

واخذ بشارة منذ وصوله الى السفر يعاون اخاه على انشاء جريدة الاهرام ومطبعتها والاعلان عنها حوالي سبعة اشهر ، حتى ظهر عددها الاول يوم ٥ اغسطس ١٨٧٦ ـ كما سلف .. وعاونه في اصدار صحفه الاخرى : « صدى الاهرام ، وحقيقة الاخبار ، والوقت ، والاحوال » في شتى مراحلها .. وهو صاحب فكرة تحويل الاهرام الاسبوعية الى جريدة يومية منذ ٣ يناير ١٨٨١ .

وظل الشقيقان شريكين متعاونين متلازمين في السراء والضراء ، حتى فرق الموت بينهما بوفاة الاخ الاكبر سليم عام ١٨٩٢ فانفرد بشاره منذ ذلك العام بالعبء كله نحو تسع سنوات حتى وفاته عام ١٩٠١ وكان قد قضى في العمل والاشراف والادارة نحو ربع قرن .. وورث ادارة الاهرام بعده الى آل تقلا وبخاصة الى جبرائيل تقلا المتوفي عام ١٩٤٣ .. وكان بدء انفراد بشاره بالاهرام مع بدء تولي عباس حلمي الثاني الخديوية .

وقد رأينا كيف تعرض بشارة واخوه سليم للاعتقال حنيما أصدر الخديوي اسماعيل عام ١٨٧٦ امره باغلاق الاهرام والقبض على صاحبيها بسبب مقالة نشرتها الاهرام عما لحق الفلاح من مظالم ، فافلت سليم وسجن بشاره ثلاثة ايام حتى توسط لهما البعض فافرج عنهما وعن الجريدة ..

وكان بشاره تقلا رجل كفاح واقدام ، استطاع بجهاده ان يثبت اقدام الجريدة ويطورها ويزيدها انتشارا .. وكان يسهم ايضا في التحرير والترجمة الى جانب الادارة عامة . وبينما تخصص سليم في انشاء المقالات الاجتماعية والسياسية ، كان بشارة يقوم بالترجمة عن الصحف الاجنبية ، وبشئون الادارة والحسابات وتصحيح «البروفات» ، ومشاركة العمال في توزيع الجريدة بالبريد ولدى باعة الطرابيش والقهوات وغيرها من الاماكن التي يتردد عليها الملمون بالقراءة ..

ومما كتبه بشارة تقلا عن ذكريات حياته الاولى في دار الاهرام قوله « كنت اطوف على الناس صباحا ، اتعرف عليهم ، واعرض عليهم الجريدة ، ثم أقصد احد منتديات القهوة فاول ما أطلبه جريدة اوربية ، واعرب اهم اخبارها ومقالاتها اذ لم يكن في وسعنا ان نشترك في جرائد غربية توفيرا . فاذا ما فرغت من الترجمة اتيت الى الادارة ونظرت في حسابها من دخل وخرج ، واشتغلت بالتصحيح ، وكتابة بعض الحوادث ، ثم جلست اعاون الفعلة على طي الاعداد وتهيئتها للتوزيع . وكنت اتناول غدائي في الغالب وانا بين صحيفة اطويها ولقمة ازدردها على انني كنت اشارف من وراء هذا العناء الجم اقبالا ونجاحا ... »

ثم كان بشاره يطوف بالدواوين والقنصليات وبيوت الكبراء ليجمع الاخبار . ويتنقل بين الريف ليعرض الجريدة على الناس ، ويعلن عنها غير مبال بما يصادف من مصاعب ومشاق .. ويقوم برحلات الى البلدان الاوروبية ليحصل على احاديث صحفية مع كبار الشخصيات التي يلتقي بها . وكانت هذه الاحاديث تدور حول المسألة المصرية او المسائل الشرقية والعالمية الهامة ، ثم ينقل تلك الاحاديث واقوال الصحف الاوروبية الى الاهرام ..

وكثيرا ما كان يصطدم ببعض الصحف الاجنبية بمصر وخارجها بسبب اقوالها أو آرائه الوطنية ، كما حدث حينما طالبت جريدة « التيمس » بتسريح الجيش المصري ، او حين هاجمت جريدة « الاجبشيان جازيت » بشارة تقلا وقالت انه يقحم نفسه فيما لا شان له به ، وانه ليس مصريا فياخذ على نفسه الدفاع عن مصر ، وان اعيان البلاد لا يقرونه على شيء مما كتبه في فرنسا او انجلترة او كتبه شقيقه سليم في القاهرة . وكان الرد على ذلك رسالتين نشرتهما الاهرام من أعيان الاسكندرية والقاهرة تاييدا للاهرام وصاحبيها ..

ومنذ ان انفرد بشاره بأمر الاهرام بعد وفاة اخيه ، اخذ في تجديدها وتحسينها . فكان يصدرها في ست صفحات بعد ان كانت تصدر في أربع ، وكبر حجم الصفحات ، واكثر من الاخبار المحلية والخارجية ونظم اماكنها ، وجود الطبع والحروف والصور والرسوم ، وافتن في وضع الاعلانات ، وخفض اجر الاعلان والاشتراك ، وأصدر فيضا من الكتب والروايات ..

ورأى بشاره ان ينقل الاهرام من الاسكندرية الى القاهرة حيث تتركز في العاصمة الوزارات والسفارات والحركة السياسية بعامة ، واعلن انها من اول نوفمبر ١٨٩٩ سوف تصدر في طبعتين : الاولى في القاهرة في حجمها الكبير ، والثانية بالاسكندرية في حجم صغير بعنوان « صدى الاهرام » .. واشترى قصرا بالقاهرة كان يسكنه

الطير الصامت

غنني يا طير واجهر بالنغم
واشد للناس بمكنون الالم
أنت صوت الفن يا طير الربى
أنت نور الحق في داجي الظلم
فارشد الحائر لا تصمت ولا
تشرب الاحزان من كأس الالم
أيها الفنان اني في الورى
أسمع الصم ولا أدري الصمم !
هاتها يا طير الحان هوى
من نشيد رائق عذب النغم
ونداء من منارات السنا
يبعث النشوة في مسرى الهمم

القاهرة — جميلة العلايلي

القنصل الايطالي ، (وهي الدار التي ظلت مقرا للاهرام بشارع مظلوم باشا طوال الثماني والستين سنة الماضية حتى انتقلت منها في نوفمبر ١٩٦٨ الى عمارتها الجديد) .

ودع بشاره مقره السكندري بكلمة نشرها في الاهرام يوم ٣١ اكتوبر ١٨٩٩ جاء بها « تودع الاهرام اليوم ثغر الاسكندرية بعد ان قضت في ظله ٢٥ عاما متقلبة في نعمته ، متمتعة بحمايته ، فهي تبرجه الى عاصمة القطر مرتلة على أهله الكرام آيات الثناء ، داعية له ولهم بدوام التقدم في مدارج العمران ومراتب العلاء . فموعد القطر غدا بأهراميه: الاهرام طبعة القاهرة في عاصمة البلاد السياسية ، والاهرام طبعة الاسكندرية في عاصمة البلاد التجارية » ..

واقتفى اثر اخيه سليم ففتح صدر الجريدة لاقلام الكتاب ، يعالجون المسائل الوطنية والاجتماعية والادبية .. وعلى صفحاتها بدأ الزعيم الشاب مصطفى كامل حياته الصحفية فنشر بها عام ١٨٩٥ بعض احاديثه مع كبار الانجليز . كما كتب بها سلسلة من المقالات العنيفة بعنوان : « صواعق الاحتلال » . وكانت الاهرام تترجم مقالاته التي ينشرها في صحف فرنسا وانجلتره ، وتلخص احاديثه في الخارج تحت عنوان : « من أين ياتي الخطر ؟ » ..

وكان من محرري الاهرام الاديب طانيوس عبده « ١٨٦٩ – ١٩٢٦ » الذي هاجر الى الاسكندرية من مسقط رأسه بيروت وعمل في هذه الجريدة عام ١٨٩٦ . ومن مقالاته بها ما وضع له عنوان : « نقدات طائر » .. والكاتب داود بركات الذي اصبح رئيس تحرير الاهرام منذ عام ١٨٩٩ ولو لم ينشر اسمه في رأس الصفحة الاولى حتى عام ١٩٣٢ .. وكان رشيد شميل مراسلا للاهرام من طنطا ومديرا لمكتبها بالقاهرة ثم بالاسكندرية حتى تركها لينشيء جريدة « البصير » اليومية بالاسكندرية عام ١٨٩٧ .. وضم بشاره الشاعر خليل مطران الى اسرة الاهرام بالاسكندرية عقب وفاة اخيه سليم عام ١٨٩٢ وكان مطران يومئذ في الثانية والعشرين . فبدأ بها تمرسه بالصحافة . وبعد عام ارسله الى استنبول – في يوليه ١٨٩٣ – مندوبا عن الاهرام ليوافيها بأخبار رحلة الخديوي عباس حلمي الثاني ، وقضى بها بضعة اشهر يراسل خلالها الاهرام ، ولما عاد رأى بشاره ان يعهد اليه ادارة مكتب الاهرام في القاهرة ومراسلة الجريدة منها بدلا من رشيد شميل الذي عهد اليه بادارة مكتبها بالاسكندرية .. وعندما نقل بشارة صحيفته الى القاهرة في اواخر ١٨٩٩ طلب من مطران ان يرأس تحريرها ولكنه فضل الانطلاق الى حدائق الادب ، فترك الاهرام وانشأ « المجلة المصرية » ١٩٠٠.. واعقبها بمجلة « الجوائب المصرية » ١٩٠٣ فلم تعمرا وانصرف الشاعر مرغما الى الميادين الاقتصادية .. ويروي مطران في حديث صحفي نشر له قبل وفاته بعض ذكرياته عن عهده الاول بالاهرام ، ومنها قوله (٨) :

« لما دخلت الاهرام كان لقب رشيد شميل (مراسل الاهرام في العاصمة) وكان مركزه في الاهرام هو المركز الرئيسي الحقيقي لان القاهرة المصدر الوحيد للحركة السياسية للقطر المصري . ورشيد مما بينه وبين المرحوم بشاره تقلا من صداقة ترجع الى عهد الطفولة ، كان ينوب عنه في العاصمة احسن نيابة . وقد عرف فيها الناس على اختلاف طبقاتهم كما يجب ان يعرفهم كل صحافي بالمعنى الحقيقي لهذه اللفظة ، فكان يتصل بهم واتخذ له عندهم مكانا في الثقة والود والاكرام . وكانت رسائله على بساطتها من ناحية اللغة – لانه كان يخاطب الجمهور بالنصوص التي يفهمها ، وعلى الخصوص رجال الحكومة منه – تعنى بالموضوعات عناية دقيقة . فكان يرجع فيها الى اهل الذكر بحيث تتنزه عن المآخذ من ناحية الحقيقة والعدل . وبعد ان دخلت الاهرام عاما ، وسافرت مندوبا عنها الى الاستانة بضعة اشهر ثم عدت ، رأى المرحوم تقلا باشا ان يعتمد على صديقه ومراسله في العاصمة ليصبح مديرا لجريدة الاهرام في الاسكندرية . فجاء من القاهرة وعينت بدلا منه مراسلا في تلك العاصمة .. وبعد ان تولى الادارة بالاسكندرية اتفق مع المرحوم بشاره تقلا على اصدار « صدى الاهرام » وكانت تلك هي الخطوة الاولى التي خطاها تقلا باشا لنقل الاهرام الى القاهرة .. وشوهد ان « صدى الاهرام » بالاسكندرية لا تستطيع البقاء واتخاذ المكانة التي كانت للاهرام ، فاتفق المرحوم بشارة مع المرحوم رشيد شميل على ان يسوي ما بينهما من حساب ، وأزمع رشيد اصدار « البصير » ... »

وفي اواخر عهد بشاره تقلا في الاهرام ، ظهرت صحيفة « اللواء » التي اصدرها مصطفى كامل في ٢ يناير ١٩٠٠ كما كانت هناك جريدة « المؤيد » للشيخ علي يوسف وكانت تصدر منذ عام ١٨٨٩ وهما صحيفتان وطنيتان واسعتا الانتشار والنفوذ ، وكان على الاهرام ان يحتفظ بمداه معهما .

وتوفي بشارة تقلا في يوليه ١٩٠١ ولم تتوقف الاهرام بعده عن المسير ، ولم تزل تنمو وتنتشر .. وقد انتقلت ادارتها الى آل تقلا والى جبرائيل تقلا (١٨٩٠ – ١٩٤٣) وكان يرأس تحريرها داود بركات ثم انطون الجميل ، كما كان من محرريها في عهده : عباس العقاد ومي زيادة ونجيب هاشم وتوفيق حبيب « الصحافي العجوز » وجورج طنوس واحمد الصاوي محمد ، وجورج عزيز وغيرهم .. وعلى صفحاتها نشر الشعراء : احمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم وخليل شيبوب ومحمد الاسمر ومحمد عبد الغني حسن « شاعر الاهرام » ... وعشرات الشعراء ... والكتاب والساسة والمؤرخين ... وفي أغسطس ١٩٥٧ رأس تحريرها محمد حسنين هيكل ومعه رهط من الكتاب الادباء والعلماء ، وبلغ عدد اعضاء اسرتها العاملين في دارها اليوم اكثر من ألف نفس ما بين كاتب وموظف وعامل ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

عقرب الساعة

مهداة الى صديقنا الصامت الان عبدالله العلايلي
اليقظة الفارقة في ساعات الزمن .

مدلف ، تجهدفي التطوافجهدا ، | أتعد العمر بالدقات عـدا
ساحبا ظلك في الخطف على | شاطىء الميناء ، تطوي الجزر مدا
.. أسباق هو ؟ أم أنت على | حافة الدرب، أضعتالدرب قصدا
كلما قلنا : انتهى الشوط جرى | رأسك العاصي الى الوثب أشدا
أظننت الوقت في خلوته | ناسجا ينسج بالابرة بـردا
خائفا ان يفلت الامس ولا | يدرك الآتي ، ولا يبلغ حدا
فتراميت على انواله | تحبك الحبك وترخي اللف زردا
عاقدا اطرافك الحرى كما | تعقد الافكار في الالفاظ عقدا

من ترى علق أطياف المنى | بخوافيك ، وما أوفاك وعـدا
حاملا فوق الجناحين رؤى | وعلى الجنبين أشواكا ووردا
ومواعيد تناساها الهوى | فانزوت في مخبأ الاقدار زهدا

انا في دقاتك العجلى صدى | ضيق الصدر ، يصد الرجع صدا
هذه الرعشة في تردادها | نبض أعيا بـه الـداء وجدا
قطعت أنفاسه أنفاسه | ومسحن النوم عن جفني طردا
در كما شئت فاني ساهر | ذاق ما ذاق ، جراحات وبردا
مرغ الليل على مينائه | وانبرى يعبث بالايام حقدا
يمسك الوقت بكفيه كما | يمسك الزاهد في الايمان عهدا
الغد الضائع في أسراره | يدفن الامس ويفني اليوم عمدا

عقرب الساعة ؟كم من ساعة | فقدت من عمرك التائه فقدا
خائف ان يأتي الآتي ولم | تكمل اللحن ولم تبدعه مجدا
تنقر النقرة في وحشائها | وتقد الوتر الظمآن قـدا
وكأن السفح لم تنزل به | وكأن الجرد لم تطلعه جردا
أنت كالسيف على غفوته ، | نمت في الغمد وقد اصبحتغمدا
يلبس اللابس من أثوابه | قطعا تمسي على الاضلاع جلدا
هذه الميناء أخشى ضيقها | وأرى في حرفها المحفور لحدا
تعب الليل فقم نرفق به | ورنا الصبح فقم نملأه رغدا

الياس خليل زخريا

نصر سمعان

بقلم شكرالله الجر

* * *

طار عن عشه فرخا من بلدته حمص الى حيث قيل له ان في العالم الجديد مدينة عظيمة اسمها سان باولو يجرفون المال جرفا من شوارعها . فما هاجر اليها من شعوب الارض مهاجر نشيط الا عاد منها مثقلا بالذهب ، ولا وطأتها اقدام مجازف مغامر الا كان له في جوها الفسيح ما يشتهيه من المال والجمال والحرية . ثلاثة ، تتطاحن الامم من اجلها وتشتعل الحروب في سبيل احرازها .

كان نصر في فورة أحلام الصبا يومذاك ، اضف الى أحلامه وخيالاته تلك الوساوس والقصص التي تناقلها الناس من حوله عن سرعة الاثراء في مدينة الدواليب سان باولو . فما عتم ان ترك مدرسته وشد جناحه اليها وطار ، وان هي الا فترة من الزمان في مهجره البعيد حتى عرف ان الحقيقة غير ما صورته له اوهام المتوهمين في وطنه ، وان الحصول على الثروة في سان باولو مدينة الملايين ، وبين الوف المتزاحمين عليها ، يتطلب الى جانب ارهاق النفس كثيرا من الحيلة والحظ ، وأين هذه كلها من شاعر فطر على براءة الوجدان ، وسخاء الكف وطلاوة العيش في ديار نشأته ؟ فكانت له محاولات تجارية جريئة في بدء هجرته ، بذل فيها جهودا كبيرة للوصول الى الثروة فكانت تجفل منه وتتنكر له ، شأنها مع معظم الادباء من أي جنس ومن أي بلد كانوا . فقد عرفت شعراء من مختلف الجوالي الاوروبية في البرازيل ما كانت حظوظهم لتختلف عن بعضها الا نادرا . فكأن السماء ما خلعت موهبة الشعر على شاعر الا بدلته من حظه السعيد حظا بائسا ، لان الشاعرية في حد ذاتها ثروة لا توازنها ثروة مادية مهما عظم شأنها عند ابناء الارض . وفي ذلك يقول احد الشعراء عن نفسه ، ولعله صاحب هذا المقال :

قالوا تغرب عن اوطانه والى   لا يحمل المال بعد الكد والدأب ؟
فقلت عدت كاغنى الاغنياء اذا   وازنتموا بين أهل المال والادب
فثروتي لا يوازيها اذا حصيت   في الناس ثروة ذي ولد وذي نشب
هيهات ارضى اذا شئتم مقايضة   عما ملكت بما في الارض من ذهب!

كنت وانا في عاصمة الاتحاد أقرأ لنصر سمعان دون ان اعرفه مقاطع من جميل الشعر تنقلها الى بعض الصحف العربية الصادرة في سان باولو ، وخاصة مجلة « الشرق » الادبية المصورة التي استطاع صاحبها الاستاذ كريم ان يجتذب بلباقته الى صفحاتها أقلاما غزيرة المواهب ومن بينها يراعة نصر سمعان شاعر « النادي الحمصي » وهزاره الصداح . ومتى قلنا « النادي الحمصي » في سان باولو فقد عنينا الصفوة المثقفة من رجال العلم والمال في اوساطنا المغتربة . وقضت الاشغال التجارية التي كنت ازاولها في العاصمة يومذاك بأن ازور للمرة الاولى مدينة الصناعة الكبرى سان باولو ، فرحب بي ادباء الجاليتين السورية واللبنانية واقاموا لي من عطفهم حفلة اكرامية في « الصالون الازرق » من بناية المليونير « مرتينللي » في ٩ نيسان من عام ١٩٣١ ، كان من خطبائها وشعرائها البارزين نصر سمعان . فكان تعارف حار بيني وبين صفوة ادبائنا في تلك الحاضرة ممن كنت اقرأ لهم وعنهم قبل ان اتعرف الى وجوههم الانيسة . ثم بعد انصرافي عن التجارة واتخاذي الصحافة مهنة لي كان لمجلتي « الاندلس الجديدة » نصيبها اللامع من يراعاتهم الكريمة الحرة ، لا سيما ادباء حمص وشعراؤها اذ خصوها دون سواها بالطرف الانيقة من ادبهم .

وتعاطفت غصون المودة بيننا ، فشعت كؤوسها وصفا اديمها طوال ايام غربتي ، الى يوم نغصها الفراق بأحكامه فاذا انا على هذا الشاطىء من لبنان وهم في الجناح الاخر من جنوبي الارض ، تهب علي من جانبهم نسمة سوداء بوفاة نصر ابن سمعان ، فيرتجف النبأ في يدي وتفور سهامه في كبدي ، فأبكيه صديقا يزهو بغر الشمائل كما بكيت حظه من الدنيا .

والى القارىء الكريم الان نماذج من شعره ، يتعرف من خلالها الى شاعر من شعرائنا المغتربين كان مقلا انما كان من المبدعين . قال من قصيدة يصف فيها ما كان يلاقيه في اسفاره المتواصلة الى داخلية البلاد :

كم مهمه أشرفت فيه على   ليل يهاب لقاءه الاسد
ليل يقهقه بالرعود وفي   عينيه ومض الشر يتقد
تبدو الغيوم به مفككة   حتى اذا ما هاج تنعقد
تطفو فيغضب من كثافتها   ويصدها زمرا فتبتعد
ويردها بلهائه قطعا   فكأنها في شدقه زبد
حملت نفسي من مهابته   حملا ينوء بثقله الجلد
ووقفت ارقب نار معركة   وقفت لها الافلاك ترتعد
وجيوش هول كان قائدها   فوق الرقيع الواحد الصمد

الى ان يقول :

أسعى وراء الرزق مجتهدا   والدهر في الحرمان يجتهد
ما ان ذرفت الدمع في بلد   الا وحن لادمعي بلد

وفي هذين البيتين شكوى جريحة من الدهر ، تعيد الى الخاطر ذكرى ذلك الشاعر البائس « ابن زريق البغدادي » وكأن الشاعرين توأما قدر وحظ ، فشاعر دجلة وشاعر الميماس صنوان في دولة الاقدار وأحكامها ، وكما خرج ابن زريق من بغداد الى الاندلس طلبا للتكسب من ملوكها وامرائها فخاب ظنه بهم .. هكذا فارق شاعر

العاصي مدينته حمص طلبا للثروة في مجاهل البرازيل فخاب ظنه بالايام ، وكما كان ابن زريق ينتظر ان يعود الى بغداد مثقلا بالذهب ليتزوج من حبيبته وهي ابنة عمه .. هكذا كان نصر ابن سمعان ينتظر ان تبتسم له الايام وتواتيه الثروة ليقترن بعروسة احلامه وهي كما عرفتها من خيرة المثقفات في عشيرته .

اما كيف تلتقي خواطر الشعراء عند المعنى الواحد متى تشابهت عندهم ظروف الحياة فلك ان تسمع . قال شاعر الرصافة ابن زريق :

ما آب من بلد الا وازعجه ... عزم الى بلد بالرغم يزمعه

وقال شاعر الميماس نصر ابن سمعان:

ما ان زرفت الدمع في بلد ... الا وحن لادمعي بلد

وقال ابن زريق :

تابى المطالب الا ان تكلفه ... للرزق سعيا ولكن ليس يجمعه

وقال ابن سمعان :

أسعى وراء الرزق مجتهدا ... والدهر في الحرمان يجتهد

والان .. أرأيت ايها القارىء الكريم من اية كوة ينفذ الشعراء الى قلوب الناس كما تنفذ اشعة القمر الى مجادعهم ، فيشجون شجوهم ويهجسون بهم في لياليهم ؟

واذا شئت ان تصغي معي الى همس النسيم بين خمائل دجلة على مدار الزمن فاليك هذه الابيات التي يودع بها ابن زريق حبيبته ويستودعها الله .. ثم ينطوي على نفسه الجريحة في أحد فنادق اشبيلية ويلفظ الروح

استودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من « فلك الازرار » مطلعه

ودعته وبودي لو يودعني ... صفو الحياة واني لا اودعه

وكم تشبثت بي يوم الرحيل ضحى ... وادمعي مستهلات وادمعه

وان يدم ابدا هذا الفراق لنا ... فما الذي بقضاء الله نصنعه ؟

رحم الله شاعري دجلة والعاصي ، ففي سيرة حياتهما ما يبلل الاهداب بالدموع . اما بدائع نصر في الشعر فهي كثيرة . قال من قصيدة في المتنبي لمناسبة الذكرى الالفية لشاعر بني حمدان :

أسكب ابا الطيبات الراح صافية ... ونقل الدهر من دن الى دن

لقنت الحانك الدنيا وقلت لها ... « ما دمت باقية غني بها غني

ما ذر نجم تزين الشرق طلعته ... الا وفي فمه اسطورة عني

فيم التغني بذكرى في محافلكم ... واي يوم خلت دنياكم مني ؟

وهي من أزهى الشعر وابدعه . ومن حسناته في مناسبة ثانية :

سبحان من رفعت يداه ... دعائم السبع الطباق

خلق العلى واعد من ... همم الشباب له مراقي

بالله يا شعبا تشق ... له الفريج يد النفاق

ماذا يضيرك لو حافت ... على التعصب بالطلاق ؟

ومن روائعه ايضا قصيدته في المولد النبوي الكريم حيث يقول :

بزغت فحيت الجوزاء مهدك ... واعلت فوق مجد الشمس مجدك

وكل فم له الفصحى لسان ... يردد بعد حمد الله حمدك

وكم خلت الممالك من ذويها ... وانت ملكت قلب الدهر وحدك

اعيذك ان تكون رسول قوم ... اضاعوا ما وقفت عليه جهدك

واذا كنت اتمنى شيئا على « النادي الحمصي » الزاهر ، وقد عهدته منبرا عاليا للادب في اوساطنا المغتربة ، فهو ان يجمع قصائد هذا الشاعر الذي طالما رصع حفلاته الانيقة بالدرر من منظومه اعترافا بفضله وتخليدا لذكراه ، وكم خلد بيت من الشعر شاعرا كما لم يخلد ولد والدا .

ومما يحز بالقلب ويوجعه ان تخرس تلك القيثارة الشجية وتنقطع اوتارها بين يدي الشاعر بعد ان استبد به اليأس في اخريات ايامه ، فاذا به ينصرف الى الكأس يعب من انفاسها وتعب من قلبه واعصابه حتى فاضت روحه على شفتيها . وكم من اديب بائس انزلق الى دن الخمر وما خرج منه الا الى ظلمة القبر ..

جبيل ـ لبنان ... شكر الله الجر

طفولة حزيران

عندما خبا الاطفال
أحذيتهم الجديدة تحت وسائدهم
وناموا وهم يحلمون
بالنقود ، والاراجيح ، والحلوى
انتعلت حذائي الجديد ،
وخرجت خلسة الى الشوارع .
كانت الجدران متآكلة
والمتسولون يقبعون في الزوايا
كالبوم على الشجر
استغاثات بعيدة
وتوابيت صغيرة اعدت على عجل
لاطفال ينتشلون من بين الانقاض
على ضوء الفوانيس .
اشباح مسرعة ، وموت غريب
يلف المدينة كعاصفة من الوحل
بحثت عن الفرح في الوجود
عن الهتافات في الازقة
عن الربيع في البساتين
ولما لم اجد شيئا عدت حزينة الى البيت .
واعدت نقودي وحذائي الجديد الى أمي .
وذرفت دموعي .

دمشق ... هدى الزين



بقلم السيد ابراهيم

بنظرة حانية وعاطفة صادقة نابعة من حبه لاخيه قال له ناصحا :

ــ كنت اظنك قد عدت الى الطريق القويم وتركت حياة البلد ومغامراتك مع البنات منذ ان اصبحت موظفا لك كيانك ووضعك والان تريد ان تحدثني عن قصة جديدة ، اريد ان اعرف الحقيقة اذا اردت مساعدتي حدثني بصدق ..

وارتسمت على ملامح الاخ الاصغر احمد ابتسامة مرحة ومن خلف نظارته ابتسمت عيناه ثم قال متلعثما :

ــ اقسم انني لا احاول الكذب .. لا اخدعك .. لقد ودعت الماضي منذ غادرت البلدة ومنذ ان استقر بي المقام معك هنا وانا اتعلم .. اتعلم كل شيء .. ومن البداية اتعلم منك .. اصبحت قويا واثقا .. لم اعد طفلا غريرا بل اصبحت رجلا .. اصبحت حقيقة .. لم اعد وهما .. ودعت طفولتي وودعت احزاني .. ودعت شقاوتي وودعت مغامراتي ، لكن هذه المرة ليس وهما بل حقيقة .. ليس خيالا بل واقع .. انني احب وغارق في الحب حتى اذناي وهي زميلتي في الشركة .. احببتها .. فتاة لطيفة سمراء ضاحكة ... قوام ملفوف وانوثة صارخة .. صوت رقيق وابتسامة آسرة ... فتاة لطيفة وحقيقة وليست وهما ، احبها وتحبني واتفقنا على كل شيء .. شرحت لها ظروفي كلها، حدثتها عني وعنك وعن اخوتي وعن والدتي وعرفت كل شيء وآمنت بي وبحقيقتي وابدت استعدادها للزواج بي وابدت موافقتها على شروطي ، وهي ستضحي .. ستضحي بكل شيء .. ستضحي بالمادة .

وسأله اخوه بدهشة :

ــ انت ستتزوج ..؟ كنت احسبها قصة من النوع اياه .. لم اعتقد انك ستأخذ الامر على محمل الجد وخاصة هذه الايام وانت اول من يعرف الحقيقة .. حقيقتنا وحقيقة موقفك .. حقيقة موقفنا .. كيف ستتزوج ومرتبك عشرة جنيهات ومرتبها بالكاد يساوي مرتبك .. قطعا هي مثلك وتحمل نفس مؤهلك او ان هناك خطأ ما ..؟

ورد احمد قائلا :

ــ ابدا لم تخطىء هي مثلي تماما في كل شيء في المؤهل والدرجة والمرتب .. ورد اخوه قائلا :

ــ يا لها من حياة .. اسرة تتكون بهذا المبلغ الضئيل .. اسرة لها مطالبها .. لها حاجاتها .. لها مصاريفها .. واذا لم نتساءل عن البداية ولم نشغل انفسنا بالمرتب لنا ان نتساءل من اين ستدفع المهر؟

وكيف ستدفعه وانا اعرف انك كنت في واد ومشاكل الماضي والمستقبل في واد اخر .. كنت تعيش لنفسك ولم تفكر في المستقبل .. مستقبلك او مستقبل اسرتك ثم ان الذي اعرفه اننا لا نملك شيئا نساعدك به فاذا تجاهلنا كل شيء كيف نتجاهل حقيقة انك لا تملك مهرا ولا شبكة ناهيك عن خلو الرجل والبحث عن شقة .. بالله عليك ماذا ستفعل ؟. ان راسي يدور واريد ان اعرف الحقيقة اريد ان اعرف كيف تصرفت ...؟

وابتسم احمد في ود ثم قال بلهجة صادقة :

ــ لست ساذجا حتى افكر في الزواج وانا اعرف انني لا امتلك شيئا ولكن في الواقع لا مشكلة في الامر ..

وسأله اخوه بدهشة قائلا :

ــ كيف ..؟

ورد احمد بابتسامة واثقة ادخلت الطمأنينة على قلب اخيه وقال :

ــ ان الفتاة تمتلك كل شيء .. لها مبلغ لا باس به في دفتر البريد وتملك مصاغا وامها ابدت استعدادها للصرف حتى اخر مليم تملكه ولست مطالبا باي مهر او شبكة او مصاريف .. اما حياتنا بمرتبي ومرتبها فهذا امر ممكن جدا بالصبر والحيلة والمثابرة .

كان كلامه منطقيا ويكاد الصدق ان يكون طابعه ولم يملك اخوه ان استسلم في دهشة وهو يقول :

ــ اذا كان ما تقوله هو الحقيقة فهذه فرصة نادرة ولكن اريد ان اسألك هل الفتاة من بيئة محافظة وليس بها عيبا ؟.. وهل سألت وتحريت عنها ودرست سلوكها ؟

ورد احمد بسرعة :

ــ طبعا طبعا .. انها فتاة نموذجية واخلاقها عالية . .

ــ اذن على بركة الله .. وما هو المطلوب مني بالضبط ؟..

ورد احمد :

ــ ان توافق وان تبارك زواجي .

وقال الاخ الاكبر :

ــ اوافق وابارك زواجك لو كان ما قلته حقيقة وكما وصفته تماما وبالضبط ، اما اذا كان خلاف ذلك فأنا لا اقر اي خطوة تخطوها في هذا السبيل ..

ورد احمد قائلا :

ــ اطمئن .. على فكرة انا مدعو الليلة في فرح احد زملائي وقد اتأخر فلا تقلق ..

وانطلق احمد مهرولا وهو يصفر لحنا موسيقيا لطيفا .. وانشغل الاخ الاكبر في بعض مصالحه ثم عاد حوالى العاشرة ولم يكن احمد قد حضر بعد وكان متعبا فاستغرق في نوم عميق ولم يدر بوصول احمد وفجأة استيقظ الاخ الاكبر ،



استيقظ فزعا فقد كان يحلم حلما مفزعا وافاق منه ولدهشته وجد احمد ممددا على ارضية غرفة النوم وساقه تتحرك بعصبية وتضرب الباب الزجاجي الذي يفصل حجرة النوم عن الصالة واحس بالفزع وطار النوم من عينيه واسرع يحاول افاقة اخيه ووجد ذراعيه ثقيلتين وجسده مفككا وكأنه لا يربطه ببعضه شيء واصابه الخوف الشديد واسرع سلم المنزل غير عابىء بالظلام غير مدرك لاي شيء .. كان يريد ان يطلب الاسعاف واسرع يجري في الشارع يبحث عن تليفون ووجده في احد المطاعم وطلب الاسعاف ثم اسرع الى المنزل واخذ في محاولة افاقة احمد ولكن دون جدوى ثم حضر رجال الاسعاف وحملوه الى المستشفى ثم بدأت اجراءات الاسعاف واعدت اجهزة غسيل المعدة واستمر الصراع بين الحياة والموت ، بين البقاء والفناء ... وانتصرت ارادة الحياة في الوقت المناسب ونقل من حجرة الاستقبال الى سرير في القسم الباطني ، وعند تغيير ملابسه بملابس المستشفى وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها : « تخلصت من حياتي » وبقايا حبوب منومة وصدم الاخ الاكبر صدمة اذهلته .. كان في حيرة .. لقد كان احمد في منتهى السعادة كان فرحا بالحياة فما الذي يدعوه لقتل نفسه .. لا بد ان في الامر شيئا .. وظل فكره يعمل بصورة منتظمة واخذ يضرب اخماسا في اسداس ثم تركه في المستشفى في رعاية الاطباء وتوجه الى منزله وهو يفكر ثم اعد عدته في هدوء لمحاولة معرفة الحقيقة وكانت البداية بالطبع زيارة في الصباح للجهة التي يعمل بها احمد ثم معرفة عنوان الفتاة ثم التوجه الى منزلها ومحاولة معرفة الحقيقة .. واستقبلته والدة الفتاة وعرفها بنفسه ، واتسعت ابتسامتها ورحبت به ولما اطمأن سألها عن ليلى ..؟

وقالت الام بارتباك : ليلى ... انها في عملها ؟

ورد الاخ الاكبر قائلا :

ـ ولكنني لم أجدها في العمل ..

وقالت الام باستسلام :

ـ آسفة عندها قضية نزاع مع شركة كانت تعمل بها شركة اخرى .

ـ اذن اريد ان اعرف الحقيقة .

وقالت الام :

ـ احنا مرحبين بالاستاذ احمد ، شاب طيب وابن حلال و.. وقاطعها الاخ الاكبر قائلا :

ـ والمادة ...؟

ـ لقد اخبرنا انه يملك ايرادا خاصا شهريا وانه احضر الشبكة ومعه مائة جنيه ..

ـ وانت هل توافقين ..؟

ـ طبعا .. انه ابني وهي ابنتي وسأعاونهما ..

ـ حتى ولو كان كاذبا ..؟

ـ كاذبا ..؟

ـ نعم .. انه يكذب .. انه لا يملك شيئا سوى مرتبه ومرتبه صغير ولا يملك مهرا ولا شبكة ولا شقة ولا اي شيء .. ما هو موقفك الان ..؟

واحتارت الام ثم حضرت ليلى ، وطلب الاخ ان ينفرد بها وخرجت الام وسألها :

ـ هل تحبين احمد ؟ اقصد هل حقا تربطك به علاقة عاطفية ومستعدة للتضحية ؟

وقالت ليلى بدهشة :

ـ ابدا .. ليس بيني وبينه اي عاطفة .. وكيف اضحي .. لقد بدأ الامر فكاهة ومرحا واخذه هو على محمل الجد .. ما ذنبي انا ..؟ لقد تقدم لي ولاسرتي ولكنني لا اوافق .. ان مرتبي ومرتبه لا يمكن ان يفتحا بيتا .. ثم انه لا يعجبني .. انه شاب خفيف .. لقد اضطرني امس لمصارحته بالحقيقة .. انذرته وطلبت منه ان يبتعد عني واقسمت ان لم يبتعد عن طريقي ان اشكوه للرؤساء ..

توالت الافكار على رأس الاخ الاكبر .. مسكين احمد .. لقد خلق من الوهم قصة ومن الخيال حقيقة .. اخذ يرسم لنفسه قصة خيالية واراد ان يجعلها حقيقة .. لم يتنبه لاي شيء .. كان يتردى في هوة سحيقة شيئا فشيئا ولكنه لم يكن ليدري .. كان مندفعا كان يحاول ان يشعر بالسعادة .. كان يبحث عن الاستقلال .. كان يريد ان يعيش . لم يكن الواقع ليسعفه فأسعفه الخيال .. فرض نفسه وكذب وخدع وحاول ان يخلق حقيقة من العدم وصدمته الفتاة صدمة الواقع فقرر الهروب منه .. قرر الموت لنفسه .. قرر ان يهرب ان يتحطم وان لا يواجه الواقع وان لا يواجه الناس ... ودمعت عينا الاخ الكبير وبان على وجهه مقدار ما يعانيه وسألته الفتاة ولكن لماذا تسأل ومن انت ؟؟..

ـ انا اخوه الاكبر واسأل لانه قد انتحر ولكننا اسعفناه .. انه في المستشفى .. اردت ان اعرف الحقيقة ...

وقالت الفتاة دهشة ودون ادنى شعور : يا حرام .. عملها ؟..

واحس الاخ بالغضب ينفعل في اعماقه فهب واقفا وسألها اذا كان قد ضحى من اجلك الست على استعداد للتضحية من اجله ... الست على استعداد لمساعدته لانتشاله من اليأس الذي يتردى فيه ؟

وردت الفتاة :

ـ ابدا لا استطيع .. لا يمكن ان نعيش ان مرتبنا بسيط وانا اريد ان ارفع مستواي المادي واحمد شاب لطيف ولكن المادة .. وهرول الاخ الاكبر مغادرا منزل ليلى والدموع تكاد تخنقه وولى وجهه شطر المستشفى وهو يهمس لنفسه :

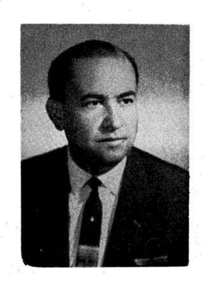
ـ مسكين .. مسكين يا اخي .

السيد ابراهيم — **القاهرة**

الى طفل الامس

فـؤاد الخشـــن

الشويفات ــ لبنان



ان يكـن جهلك بالناس
يريح الناس
فاصمت ...
وتجـاهـل
كل ما يخجل منهم
كل شيء يتناقل
في زوايا الغرف السوداء
عنهـــم
كل ما ظنـوا غبـاء
انه ما زال سرا ..
ولترح كل نعامه
تحجب الرأس برمل ..
خلها في وهمها الحلو ،
وخـــل
للأسى المـــر
على الثغر ابتسامة
واعتصر قلبــك
في صمت لياليك
لهذا الطرس حبرا ..

●

كم تجاهلت حقيقة
واقعـا يخزي
لمن كنت تـراه
من خلال الذات
في أعلى ذراه
حافرا في جبهة النجم طريقه !
كم تحملت اختيارا
ان يقال
انـك العاجـز
في هذا المجال
لا ترى عينـاك
ما خلف التلال
وهو لا يدري بما كنت تشاء
لشقي ضـــاع
في ليل الضـلال
عائش واقعه المظلم
خوفـا وريـــاء
همك الاكبر ان ينسل منه
مقلعا بعد حياة التيـه
عنـــه
عائـدا
نحو فراديس الضياء !



الدكتور محمد رجب البيومي

من آداب الحديث ومفارقاته

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يلاحظ الذي يتسمع احاديث العامة في مجالسهم المتعددة تفاهة ما يتعرضون اليه من نواح مختلفة ، فهم يقطعون الوقت الطويل في ثرثرة جوفاء لا تملأ فراغا او تشبع عاطفة، وقد يعذرون في ذلك حيث لم تتح لهم التربية الناضجة التي تتجاوز السطح البارز الى الاعماق الدفينة ، ولكن المؤسف حقا ان تكون احاديث الخاصة من المثقفين في اكثر اوقاتها على غرار احاديث العامة ، تفاهة موضوع ولجاجة حوار دون ان تجد فروقا واضحة بين الفريقين، فتظل تسمع وتسمع متضايقا متضجرا ، وقد يلجئك السأم الملل الى الفرار السريع دون تريث وابطاء .

ومعلوم ان الناس يتزاورون ويتجمعون في مناسبات كثيرة ترويحا للنفس في لقاء مؤنس وسمر مريح ، وفي مطارحة الاحاديث تتكشف نواح هامة يجدر التنبيه اليها والاستفادة من نتائجها ، اذ ان الجدب الموحش ظاهرة بارزة تسم هذه الاجتماعات بطابعها العقيم ، ولا بد لنا من نظرة فاحصة نزن بها ما ننفق من اوقات وما نندفع اليه من لجاجات .

وانا اعلم جيدا ان الترويح عن النفس هدف مقصود من التزاور والتجمع ، فليس المجال متاحا للمناقشة العلمية، ولن يعقل ان تكون احاديث الاصدقاء دروسا هامة في بعض العلوم والفنون ، ولو انها كانت كذلك ـ في نطاقها المنهجي الرتيب ـ لاصبحت مدعاة السأم والنفور، فنواجه منها على دسامتها النافعة ما نواجهه الان من الثرثرة التافهة على هزالها المريض ، ويكون بذلك قد استشفينا من داء بداء ، فالسأم والملال نتيجة واحدة في الحالتين واظنك تسأل بعد ذلك كيف يدور الحديث وعلى اي وضع يكون ؟ ان مشارب الناس متعددة غير متحدة فلديهم على اختلاف طبقاتهم تباين عجيب يدفع الى الدهشة والتساؤل ، فهذا مغتاب جريء لا يكف عن انتقاص معارفه وتتبع عوراتهم ثم هو يفرض عليك حديثه الآسن الكريه دون خجل او حياء ، وذلك ناقد يتصدى للمعارضة والجدل في ابسط ما ينبغي ان يتفق عليه من الامور دون ان تكون له وجهة نظر غير اللجاجة والمراء ، وذاك غلام لا يفارق طفولته في رجولته فتظل احاديثه الطويلة تدور حول نفسه واهله فاذا شاهد تبرما من سامعه عده اهانة تؤول في اعتقاده الى حقد وضغينة ، وتترك في سويدائه شجونا سوداء تكدر عليه صفاءه ، وهؤلاء وامثالهم يجدون في سمر المحادثة ترويحا عن خوالجهم المتوثبة ، فكيف تنظم احاديث الناس مع هذه الانماط المتنافرة حتى تعود على السامع والقائل معا بالفائدة والاستمتاع ؟

اعتقد ان تنازل الانسان عن انانيته الملحة نجاح كبير لجلسه اذ ان هناك حبا كامنا للسيطرة على النفوس ، يتطلب المنافذ الواسعة للوثوب في كل مناسبة تحين ، والحديث منفذ متسع يظفر منه المتحدث فيفسح المجال لرغباته ونزعاته فما يكاد يسمع كلمة عابرة عن شيء ما ، حتى يندفع في الحديث عنه دون ان تتحدد في راسه افكاره وعناصره ، وقد يتطرق منه الى موضوع اخر يلم بنواحيه دون ان تكون هناك علاقة واضحة او صلة ماسة، فيظل يبدىء ويعيد في حديث بعيد عن المشاعر منبت الصلة بالسامعين ، وفيهم بلا ريب من تتملكه شهوة الثرثرة كصاحبه فيضيق به ذرعا اذ سيطر على اصحابه بهرائه الغث دون ان يترك لهمجالا يرضي منازعه، وقد يتلمس السبيل الى معارضته فينفتح باب المهاترة والادعاء ، واذا جنح الى السلامة تلمس البادرة العاجلة فاندفع هو الاخر بذكر ما يتواثب في نفسه من اوهام ، وهكذا يتصل الحديث في غير طائل ، وكأن كابوسا ثقيلا قد ران على السامعين فهم يجثمون تحته في ضيق مقلق ، وما يكادون يتفرقون حتى يتنسموا بعض الراحة مما يكابدون وكأنهم كانوا يواصلون كفاحا مضنيا يتطلب بعد انقضائه كثيرا من التسلية والترويح ، ولو تفاءل كل انسان عن انانيته قليلا لرحم سامعيه من هم ناصب ولغو مرير .

لا بد اذن من علاج ناجع لهذه الثرثرة البغيضة ولن تسحق الانانية من الناس في يوم وليلة حتى نظفر بالشفاء السريع ، ومكافحة الداء في هذا المرض الكريه تقع على السامع الحصيف فهو الذي يستطيع ان يوجه الحديث

وجهة صالحة دون تصادم سافر ، فقد يسأل سؤالا لطيفا يرمز الى الايجاز المقتضب في غير مواجهة ، وقد يخرج بالحديث حينا اخر من نطاقه الشخصي الى مدى فسيحعام يتعلق بمشكلة قومية او حادثة مشتركة تشغل الجمهور ، وسيشعر الثرثار لا محالة ببعض الضيق من انقطاع تياره الخاص ، ولكن الإبتسامة المصطنعة والرفق الشامل والبشاشة المتصلة ، كل اولئك قد يهون من شجونه بينما يتلقى درسا عمليا يكشف عن شذوذه الاناني ، فلا يعود الى اللغو السقيم ، كيلا يلدغ من جحر مرتين ، وبذلك يتعلم الناس شيئا فشيئا آداب الحديث.

وقد يكون في بعض المجالس شخصية مرموقة تسيطر بمكانتها على المجتمعين وتتجه لها الانظاروالاسماع ، واذ ذاك يجب ان يلقى عليه العبء ـ ان عد ذلك عبئا ـ في توجيه السمر وتلوين الحديث ومتى سلم صاحب هذه الشخصية من الانانية الاليمة فقد ظفر المجلس بكسب مفيد ، اذ ان يستطيع ان ينتقل بالحديث الى غير وجهته، اذا احس بعض اللجاجة والفضول كما يمكنه ان يرتفع بمستواه الى حد تسيفه الافهام ولا ترفضه ، وقد يكون من اللائق ان يفسح بعض الشيء لغيره ، مكتفيا بالتعليق المقنع ، فاذا تمذلك شعر الحاضرون براحة المستفيدالذي تشبعت روحه وامتلأت نفسه من شراب لذيذ لم يتطلب عنتا في الاعداد والتهيئة ، ويرجع الى السمر لذاذاته الخالصة واثره الحميد .

وقد يظن بعض الناس ان السمر بالمجالس لهو خالص لا سبيل الى تقيده بأوضاع او اتسامه بتقاليد ، وربما كانت الفكاهة المضحكة حينئذ احدىميزاته وهذا صحيح ان استقام على نهجه القويم ، ولكننا نجد الفضوليين يجنحون به الى الثرثرة والتشدق حتى يعود سخفا مقيتا وهراء مشينا ، بل كثيرا ما يخطىء المتسامرون معنى الفكاهة فيظنونها في التسفل اللفظي ولولوع بنوادر الرعاع ومضحكات الطغام مما لا يجب ان ينكشف الحديث عنه في مجتمع ما ، ونحن لا نريد ان نضيق على الناس منافذ الترويح ولكننا نحذر من الانكشاف الفاضح الذي يبعث على الاشمئزاز لدى الضمائر الحية ، فلا تتحمل الاغضاء عنه بحال ، والواقع أن الانسان اللبق يستطيع ان يعبر عن ادق الامور الحرجة بأسلوب مقنع لا يحرج سمعا او ينحط بقائل ، وفي اللغة العربية من الكنايات الطريفة ما تتضاءل امامه الحقيقة السافرة ، فالتبذل في اكثر وجوهه يرجع الى انحطاط اللفظ ، وضيق التعبير اكثر مما يرجع الى الفكرة الهابطة والمعنى الجارح ، ومتى لاحظ المتسامرون ذلك فلهم ان يتحدثوا كما يشاءون دون مؤاخذة وانتقاص ، على الا يكون تندرهم على حساب فرد آخر فيخرج بهم الحديث من الفكاهة العذبة الى النميمة والاغتياب .

ويدهش من يطالع حيوات كثير من عظماء التاريخ وقادة الفكر في الامم ، اذ يجد ان ندوات المجالس قد حملت في طياتها بذور تكوينهم وعناصر شخصياتهم ، فقد اتاحت لهم تفهم النفسيات المعقدة وملافاة الاحتدام الجدلي ، كما لقنهم الاحتكاك الخطابي أساليب المرونة والمداراة فتكاملت ذواتهم الانسانية تكاملا ناضجا يقوم على سبر الاغوار واظهار الدوافع ، بل ان الفائدة العلمية وحدها ببعض المجالس النافعة قد تغني غناء مدرسة ذات اساتذة ومرشدين ، ونحن نعلم ان مجالس الاستاذ الامام محمد عبده قد خرجت وحدها شاعر النيل حافظ ابراهيم فكان يسمع باسم الكتاب لاول مرة من متحدث فاضل في ندوة الامام فيبادر الى تصفحه واستيعابه ، ويرى في مصاولة العقول غذاء دسما يغني غناء الدراسة الشخصية بل ربما فاقها في بعض احواله، اذ ان المتحدث من افاضل النابهين يذكر دائما الرائع المنتخب من افكاره ومعارفه ، فلا يتحف رفقاءه بغير الدسم المفيد ، في حين انك تدرس الكتاب من الكتب فتجده تارة شهيا نافعا وتارة اخرى يخلف ظنك به فيطالعك بالتافه المجوج ، وتتحسر حينئذ على الوقت المبذول في استيعابه والمال المعطى في شرائه.

واذا كانت الندوات تضم اشتاتا مختلفة من الناس فانها تتيح بذلك معارف متنوعة ، فاذا اجتمع المهندس والطبيب والقاضي والمدرس في مجلس واحد وامتد بساط الحديث ، فسيتحدث كل بما يكشف عن ثقافته ويبرز عن مناحيه ولن نزعم ان كلا من هؤلاء سيتحدث حديثا علميا عن مهنته الخاصة فذلك ما لا يكون بحال ، ولكن وجهات النظر دائما تتكون من ثقافة الانسان وقد يتلاقى الجميع لدى فكرة معينة ولكن فلسفتها الخاصة وتعليلها المنطقي يختلف لدى كل متحدث وفق منازعه العلمية واطلاعاته الشخصية . وفي ذلك كله تلقيح للذهن ، وارتشاف من منابع الحكمة ، لو قدرت المجالس قدرها فربأ جلساؤها بأنفسهم عن السفاسف الوقتية وذكروا نعم الله على العقول والاذهان ، وفي الدعابة التي تتخلل الحديث ، وفي سمات المتحدث المهذب وفي التندر بالظواهر القلقة في غير تجن ولا اسراف ، في ذلك كله ما يحيل الندوة الى امسية حالمة فاتنة ، وهناك شعور نفسي بالرضا والاغتباط يغمر الانسان حين يرتفع بحديثه الى مستوى ثقافي حميد ، فيلمس تفوقه الذهني ويشهد اعجاب سامعه وتقديره ، وفي ذلك ارضاء لبعض المنازع الكامنة في أطوائه مهما حاول التنصل منها ، ومهما استترت عنه فخدعته الى حد ما ، ولكنها لم تنعدم انعداما يحتم علينا ان نتجاهلها او نتضايق من اعلانها اذ ان الانسان هو الانسان .

ولقد كان ارتقاء الحديث يتيح خيرا كثيرا للسامعين، فانه من ناحية اخرى يدفع شرا مستطيرا تنجم بوارقه بين الحين والحين ، فتفاهة الموضوع تجعل من اللجوج الملحاح ثرثارا كثير التخبط والسقطات ، وهو لضيق

نار الشباب

وحدي انا في غمرة الاشواق ... أولا تهزك دمعة المشتاق ؟
ما للربيع طلاقة ان لم تكن ... فيه ملامح وجهك البراق
عللت نفسي باللقاء فزدتني ... هجرا ، كأني طامع بفراق
ما ضر لو قصرت اسباب النوى ... واسوت جرح الواله الخفاق ؟
غلواءكم ناجيت طيفك في الدجى ... ما اجمل الاوهام للعشاق !
لا لن الومك ان هجرت خميلتي ... غضبانة ، ونأيت عن آفاقي
صدقت في المرجفين ، ومن يكن ... ذا ريبة اصغى الى المذاق
هل تذكرين على الرياض لقاءنا ... في عزلة عن اعين الطراق
يرخي علينا الليل وارف ستره ... ويضمنا في قبلة وعناق
للنسمة الغيرى حديث نميمة ... عن حبنا تفشيه للاوراق
غلواء ان ذهب الشباب فناره ... لما تزل تنساب في اعراقي
لم تبلغ الاحداث مني غاية ... وقلمت ظفر الدهر عن اعلاقي
قيثارتي ما زال في اوتارها ... نغم يثير مكامن الاشواق
اوثقت الا عن هواك حشاشتي ... سبحانك اللهم شد وثاقي !
لا يضحكنك ان فودي ابيض ... بيض السيوف لغارة وتلاقي
انا شاعر الحسن الندي فلا يته ... غيري بثوب الشاعر السباق
كرمت الحاني فلم الجأ الى ... بوق ولم ازحف الى بواق
بئس الاديب يريق ماء جبينه ... ويبيع زاد الفكر في الاسواق !
انجية الوادي هزارك ظامىء ... واحرقتي لغديرك الرقراق !
ان تنكري عهدي ـ فديتك ـ فاعلمي ... اني على عهد المحبة باق

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل

نظره يتعرض للناس مصرحا بالاسماء مستدلا بالوقائع ولا بد من نقد يزيد ويتسع حتى يصبح سبابا ، فان لم يبلغ ذلك فهو تعريض مفصح لا يعدم من يحمله الى صاحبه المنقود فيؤجج الضغائن ويثير المواجد ، ورب كلمة عابرة قذف بها قائلها في غير تدبر عاقل فتحت ابواب التطاحن والشجار ، بل ان كثيرا من الحروب المدمرة في تاريخ البشرية كانت نتيجة لحديث تبودل وثرثرة هذيها صاحبها دون اكتراث فعادت على الامم والافراد بالويل والثبور .

ومن هنا دعا الاسلام الى النجوى الصالحة والكلمة الطيبة فقال الله عز وجل : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما »

وروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك بها المجلس يهوي بها أبعد ما بين السماء والارض وان الانسان ليزل عن لسانه اشد مما يزل عن قدميه » ولكبار المفكرين في ذلك نفثات رائعة لا يسعها هذا المجال .

ان من احتقار المواهب الانسانية ان يفيض عقلاء القوم في حديث ممرور لا يجلب غير الحنق والضيق ، وقد تكون التفاهة معرة للجهلاء والاقدام، ولكنها للمثقفين كارثة يعز فيها الصبر ويند عنها العزاء ، فليت الذين اوتوا نصيبا من المعرفة يتركون هراءهم الان الى سمر ينعش الارواح ويسمو بالاخلاق !!

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

التاريخ

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

ترب الزمان البكر في الميلاد ... ووديعة الاجداد للاحفاد
لبست به دنيا المروءة سابغا ... من نير الاطواق والابراد
وازينت بقلائد ، خرزاتها ... عبر تشع كثاقب وقاد
سطر الحقيقة باحثا ومفندا ... وجلا اليقين بحكمة ورشاد
يزن الرجال على المروءة والندى ... في الخلق والاقدام عند طراد
يتتبع العورات غير مسامح ... أو غافل عن عورة لجواد
من ورده غرر الحقائق تستقى ... مجلوة كعرائس الآراد
ولايه فصل القول يسطع غربه ... بمهند للحق او بصعاد

غال الردى (يونان) في شرخ الصبا ... وطوى الرسوم وذرها كرماد
لم يبق غير نؤى تلوح لناظر ... كالطيف في سقم وفي اجهاد
شحبت معالمها ورق أديمها ... كهواجس المخمور حين رقاد
شعب البلى (يونان) الا سيرة ... تتلى بكل سريرة وفؤاد
تاريخهم عجب القرون على المدى ... كالشمس ليس شبابه لنفاد
قيثارة بيديه يملأ عزفها ... سمع الزمان بأعذب الانشاد
كفلت (ليونان) الخلود وحققت ... قبل المعاد لها مآب معاد

درج (الاكاسرة) الاولى وكأنهم ... سقط المتاع لخسة وفساد
نهبوا أفاويق الهوى أيامهم ... من كأس غانية تدار لصادي
ركزوا المظالم دون كل ثنية ... علما يرف بعاصف الاحقاد
(قمبيز) وجه العار عبء للاذى ... جيشا تقنع في قتام سواد
نفث الدمار بكل أرض حلها ... وكأنه سهم الحمام العادي
فجع المروءة في أجل وديعة ... أوصت بها الاحرار للاولاد
ومشى مع الشهوات في غلوائها ... كالهيم في الاصدار والايراد
كم من أكاسرة اذا عددتهم ... أسقطتهم كالصفر في الاعداد

قل للذي ساس الشعوب بمرهف ... وجرى يحالف عن هوى ويعادي
آساس ما رفع الاذى متصدع ... وبناؤه طنب بغير عماد
والناس احلام السراب بقيعة ... تطوى كرجع صدى يرن بواد
كل يؤول الى النفاد ولم يكن ... ثمر الجميل على المدى لنفاد
ما يحفظ التاريخ كان وديعة ... ترعى من الاحرار بالاكباد
فكن الامانة في جليل يصطفى ... واحذر مغامز مرقم النقاد

دمشق ... عدنان مردم بك

ابراهيم الشنطي - عبدالرحيم عمر

حسن البرقاوي

بقلم البدوي الملثم

***

١ - ابراهيم الشنطي

صهر « ابراهيم » نفسه في حب وطنه المغصوب ، واذاب روحه دفاعا عن شعبه المغلوب ، وصور شعوره نحو وطنه الغالي ، وجسد مشاعره ازاء شعبه المناضل الانوف ، بالعبارة الشعرية التي نطقها « شكسبير » على لسان « جون غونت » في روايته « الملك ريتشارد الثاني » :

« هذه الذرية البشرية السعيدة ،
« هذه الدنيا الصغيرة ،
« هذا الحجر الكريم ، المثبت في البحر المفضض ،
« هذه القطعة المباركة ،
« هذه المملكة ،
هذه الانكلترة ! »

ولد « ابراهيم » في يافا عام ١٩١٠ وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة « دار العلوم » وعرف وهو ابن العاشرة ، الخطر الصهيوني بالثورات المتواصلة التي نشبت في فلسطين ، وانتسب لجمعيات وطنية . وخلال دراسته الثانوية عمل في حقل الطلبة بحيوية ونشاط ، لا سيما نادي الطلبة التهذيبي . وفي عام ١٩٣٢ انهى دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت وكان عضوا في « العروة الوثقى » . وبعد ان نال شهادة في العلوم السياسية عاد الى فلسطين وانضم الى قلم تحرير « الجامعة الاسلامية » لمؤسسها المرحوم الشيخ سليمان الناجي الفاروقي واختار لمقالاته عنوان « حديث الشباب » فلقيت تقدير القراء ، وتركت في النفوس صدى بعيدا .

وبعد وفاة المغفور له الملك فيصل الاول بذل جهدا صحفيا في عدد ممتاز من جريدة « الجامعة الاسلامية » وقد عرف به العراق الشقيق الى الشعب العربي الفلسطيني ، وكان في هذه الفترة عضوا في حزب الاستقلال .

وفي هذه الحقبة سادت فلسطين موجات من الحزبية البغيضة ، وتألبت عليها الاحزاب المتنافرة ، فبرزت الدعوة الى اعتبار بريطانيا هي المسؤولة الاولى عن تعثر القضية ، وتقهقر البلاد ، والسير بها الى طريق التهويد ، وهب « ابراهيم » بعزم الشباب المؤمن الى محاربة الانتداب والصهيونية ، واسس في يافا صحيفة يومية راقية باسم « الدفاع » وصدر العدد الاول في شباط ١٩٣٤ وساهم في تحريرها المرحوم سامي السراج وابراهيم طوقان و « أبو سلمى » والزركلي ، وخصها طوقان بمقطوعات اسبوعية من شعره حفزا للهمم ، وشحذا للعزائم ، وكشفت المصادفات عن شحنات من الاسلحة عمدت الى تهريبها المنظمات اليهودية في براميل من الاسمنت ، فتناول « ابراهيم » هذه « البركات » بسلسلة من المقالات النارية تحت عنوان « لولا العقلاء ! » .

وفي عام ١٩٣٥ اخذت الدفاع تنمو نموا سريعا ، واصابت دعوتها الى اعتبار بريطانيا « الاصل » والصهيونية « الفرع » نجاحا كبيرا ، واستوردت اول مطبعة « دوبلكس » وتمكنت بذلك من تلبية طلبات المدن والقرى الفلسطينية ، من حيث زيادة الكميات ، واصبحت البلاد مستعدة للدفاع عن نفسها في وجه الهجرة « المشروعة » و « غير المشروعة » واستعدت استعدادا روحيا عاليا ، وكانت الصهيونية في الثورات الاولى هي « الهدف » وما لبثت الاصابع ان اومأت الى بريطانيا فكانت « الهدف » في الحملات التي شنتها « الدفاع » وزميلاتها الصحف العربية .

ولم تحل سنة ١٩٣٦ حتى كانت الثورة في فلسطين قد نشبت بين العرب من جهة والانكليز واليهود من جهة اخرى ، ودعت « الدفاع » الى اضراب عام شامل في فلسطين استمر ستة شهور ، واسس « ابراهيم » في يافا « الحرس الوطني » دفاعا عن الثورة ، فأعتقل مع اربعة من اخوانه العاملين في الحقل الوطني ، وبعثت بهم سلطات الاحتلال الى « عوجا حفير » بقضاء بير السبع .

ونتيجة لتزايد افواج المعتقلين نقلتهم الى « معسكر صرفند » الغاص بالوف من المعتقلين العرب ، وامضى « ابراهيم » فيه قرابة السنة ، وكان يجد الوسيلة لتحبير المقالات وارسالها الى « الدفاع » يوميا ولم ينقطع عن الكتابة طوال مدة اعتقاله .

وفي تلك الايام ذر قرن الحرب الاهلية في اسبانيا فارتفع معدل توزيع « الدفاع » نسبة عالية ، وكانت حصة المدن الفلسطينية ٦٠٪ والقرى ٤٠٪ والفلاح العربي الفلسطيني قارىء نابه ممتاز ! .

ودخلت سنة ١٩٣٧ والثورة ناشبة في فلسطين ، الامر الذي حمل السلطات البريطانية على تبديل قواد ثلاثة كان احدهم الجنرال « دل » رئيس اركان الحرب ،

وعمدت الى استعمال الطائرات في تلك المعارك الرائعة .

وفي هذه الاثناء اقترحت لجنة التحقيق الملكية تقسيم فلسطين ، وكان اليهود من اشد المتحمسين له ، وهدفهم اقامة دولة يهودية ... حتى لو امتد عنقها من تل ابيب الى حيفا .. ليتخذوا منها « رأس رمح » ! كل هذا والثورة في تصاعد و « الدفاع » تضرب منسوبا عاليا في طبعتها !

وفي سنة ١٩٣٨ اخذت نذر الحرب العالمية الثانية في الظهور ، وصار على بريطانيا ان تقدم « حلا » يرضى به العرب ، غير مشروع التقسيم !

وفي صيف هذه السنة قصد « ابراهيم » اوربا اذ كانت القضية الفلسطينية معروضة امام جمعية الامم في جنيف ، فزود « الدفاع » برسائل دلت على تفكير عميق ، ونالت تقدير واعجاب القراء ، وصور ذلك التحيز الذي كانت تبديه لجنة الانتدابات ، ومطامع اسرائيل في النقب كما شرحها وايزمن امام اللجنة التي كانت تعتبر بريطانيا مترددة في تهويد فلسطين ، وايقن « ابراهيم » ان للاستقلال سبيلا واحدا هو الاستماتة في الدفاع عن الوطن ، وحمل الدولة المنتدبة على الرضوخ والاذعان .

ومن جنيف دعي « ابراهيم » لزيارة المانيا فرأى ذات يوم مشهدا عجيبا لم يبرح ذاكرته .. هو ان جنديا المانيا كان يسوق مئات من اليهود كانوا اشبه بالنعاج .. ولما علم انهم مسافرون الى فلسطين كمهاجرين ابدى استياءه ورفض ان يشهد احتلال بلاد السوديت من تشكوسلوفاكيا ، فقصد لندن وعلم ان هناك تفكيرا باصدار « الكتاب الابيض » المتضمن وقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، واقامة دولة ثلثها من اليهود وثلثاها من العرب ، وشهد رحلة نيفيل تشمبرلين مرتين الى المانيا ليحول دون نشوب الحرب وليحضر مؤتمر ميونيخ ، و « ابراهيم » يذكر ان الشعب البريطاني لم يكن في حالة استعداد نفسية لدخول الحرب !

وفي سبتمبر عام ١٩٣٩ اعلنت الحرب العالمية الثانية ، فأفاد اليهود من التدريب العسكري على الاسلحة الحديثة كمتطوعين في القوات البريطانية ، اما العرب فقد رفضوا التطوع والتدريب كرها بالانكليز والحلفاء على العموم .

وبعد اعلان الحرب ساد فلسطين شيء من الهدوء ، وكانت الحكومة البريطانية في حاجة الى الدعاية .. فلزمت « الدفاع » جانب الحياد ، وجرت محاولات لزحزحتها عن موقفها هذا ، غير ان « ابراهيم » اشترط لتأييد الحلفاء صدور تصريح رسمي باستقلال فلسطين فور انتهاء الحرب ، لكن المسؤولين البريطانيين قابلوا هذا المطلب بالرفض ، فعانى « ابراهيم » الكثير من التهديدات بالسجن واغلاق « الدفاع » لكنه تمسك بمطلبه ، ولم يبال بتهديد القوم ووعيدهم ، ويذكر كيف ان اليهود اخذوا يعرضون بيارات البرتقال التي انشأوها باسعار زهيدة ، بعد ان وصلت فيالق « رومل » القائد الالماني الى ابواب الاسكندرية !

بعد « معركة العلمين » كان الفيلق اليهودي قد تألف بصورة غير رسمية ، واخذت كفة الحلفاء في الرجحان ، واستطاع اليهود تهريب كميات هائلة من السلاح لمستعمراتهم في فلسطين ، كما بدات سفن المهربين اليهود بغزو فلسطين برا وبحرا .. وسرا وجهرا .. وتحول المتطوعون منهم الى مهربين للاسلحة واليهود ، والى جنود في جيش الهاغناه . ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان اكثر من ١٥ الفا هم قوة « الفيلق اليهودي » مدربين احدث تدريب ، ثم أطل دور الارهاب الموجه الى القوات البريطانية !

كان في وسع هذه القوات الاجهاز على ذلك الارهاب اليهودي في ساعات قلائل .. غير ان وزارة المستعمرات كانت تغل ايديها غلا .. وكان النشاط الصهيوني السياسي قد انتقل الى الولايات المتحدة حيث صارت مركز الثقل بعد خروج بريطانيا منتصرة ولكن خائرة القوى من الحرب !

وفي تلك الاثناء تجاوز توزيع « الدفاع » الاربعين الف نسخة يوميا ، وكانت تحذر من التسلح اليهودي ، واخذ بعض كبار الموظفين البريطانيين يلمحون الى قرب انتهاء الانتداب على فلسطين ، واستغل اليهود مشكلة معسكرات الاعتقال النازية استغلالا واسع النطاق في العالم ، وحولوا العطف الى مساندتهم لفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية . ولقد اماطت لجنة التحقيق الانجلو - اميركية اللثام عن قوة الهاغناه ، حينما ورد في احاديث بعض أفرادها ان ارقامها تتراوح بين ٧٠ - ٨٠ الفا ، وكان صاحب « الدفاع » يتنقل باستمرار بين فلسطين ومصر ، منبها الى ضرورة الحصول على الاسلحة ، وكانت صلته بعبدالرحمن عزام ، الامين العام لجامعة الدول العربية السابق ، وثيقة ، فأوفدته الجامعة العربية مع مندوب اخر لشراء معسكر صرفند ومعسكر كفر جنس بفلسطين ، وبينما كانا يعاينان الاسلحة في المعسكر الثاني داهمتهما قوة من الهاغناهاليهودية ونقلتهما في دبابة الى مطار اللد وابعدتهما الى مصر في اخر طائرة غادرتـه !..

وحينما دخلت القوات العربية فلسطين حفظا للامن والنظام فيها ، لم يكن عددها مساويا لربع قوات الهاغناه ، ولم يكن تسلحها بأحسن منها .

ومرض « ابراهيم » واحس بأنه انتهى .. ونصح اليه صديق صحفي بالمعالجة في مستشفى المؤاساة بالاسكندرية الذي كان يشرف عليه الدكتور النقيب ، وبعد اقامة شهر فيه سافر مع عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي ، الى سويسرا لمتابعة

العلاج ، وبعد عودته الى مصر في اعقاب عام ١٩٤٩ تحاملت احدى الصحف الكبرى بشدة على الشعب الفلسطيني فانبرى للرد عليها بمقالات مؤثرة في صحيفة « المصري » ، وقد زاره ذات يوم اللواء محمد نجيب وبارك حملته الصحفية وشجعه على المضي في الدفاع عن الشعب الفلسطيني المناضل وحفزه هذا التشجيع الى انشاء صحيفة يومية في القاهرة للدفاع عن الشعب النبيل المشرد ، والدعوة الى تقارب عربي تكون القاهرة مركزه بل عاصمته .

وفي الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٢ وقعت الثورة في مصر فرأى « ابراهيم » ان يتمهل في تنفيذ المشروع لكن ضغط اخوانه انصب عليه فصدرت صحيفة « القاهرة » يومية في القاهرة بمشاركة السياسي العربي المرحوم اسعد داغر .

كان « ابراهيم » شديد التعلق بمصر ، ويعزى هذا التعلق الى سبب تاريخي عميق الاثر في نفسه هو ان مصر كبحت جماح الحملات الصليبية بالتعاون مع بلاد الشام ، وصدت بعدها غزوات المغول ، ولا مناص من قيادة مصر لكبح جماح الغزو اليهودي !

ويؤمن « ابراهيم » ايمانا صادقا بانه خير للامة العربية ان تخسر المناطق المحتلة من ان تدخل في مفاوضات الصلح مع اسرائيل التي تجري على سياسة المراحل .. للتوسع والاعتداء ، وان اسرائيل سوف لا تكتفي الا راغمة والى حين .. بما تسميه « الحدود الآمنة » والاعتراف الضمني بها ، ذلك ان مخططها جعل الاقطار العربية اسواقا لها ، وجعل شعوبها شعوبا تابعة!

وبعد احتجاب « القاهرة » عاد « ابراهيم » الى بيت المقدس ليتابع جهاده الصحفي في جريدة « الدفاع » وبقي مشرعا قلمه فيها حتى عام ١٩٥٨ حينما مرت البلاد العربية بظروف محزنة من الخصومات والخلافات ، واضطر لمغادرة القدس اعواما ! .

وحينما وقع العدوان الاسرائيلي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ كان في القدس ، فأذهله العدوان كما أذهل الكثيرين ، وبعد قرابة الاسابيع الثلاثة ، قصد عمان وقرر استئناف اصدار « الدفاع » للمرة الثالثة في تاريخها ، كانت الاولى في يافا عام ١٩٣٤ والثانية في القدس عام ١٩٥٠ والثالثة في عمان عام ١٩٦٧ ، وانكب على العمل وشرح أظلم قضية عادلة عرفها التاريخ ! .

وفي الرابع عشر من آذار ١٩٦٩ انتخب « ابراهيم » نقيبا للصحافة الاردنية .

نماذج من نثره : اشتهر « ابراهيم » بكلمات كان ينشرها في صدر جريدته ، تحمل اسم « وجدانيات »، ولقد لاقت هذه الوجدانيات تقدير العشرات من قراء « الدفاع » واعجاب أهل القلم ، ولو قدر « لابراهيم » ان يجمع « وجدانياته »هذه منذ اول عهده بها لأثرى الخزانة العربية بموسوعة ضخمة من الادب الوجداني الرفيع . ودونك ثلاثا منها :

١ ـ « أطلقوا عليهم اسم « شعراء المقاومة » وعلى ادبهم « ادب المقاومة » ، شموع مضيئة هنا وهناك تبدد الظلام في ايامنا المظلمة . تشرق الشمس كل يوم وتغيب، ولكن سيان أشرقت ام غابت ، عالم القلوب ، قبل عالم الملايين ، وعالم قلوبنا مظلم . اوتار تشدو في الليل البهيم الصامت ، لا ينقطع شدوها . قليلة في العدد ، غير ان الفناء ساحر ، تبكي له حتى الاحجار .

أنفاس لاهبة من فرط الالم ، لا تشكو ، لا تتبرم ، لا ترفع اهدابها ، كبرياء ، لئلا يقال انها تتظلم ، انها تضعف في وجه الهزات المدمرة الدامية . اذن في حالتين أثنتين يتألق الشعر ويسمو : العصور الذهبية ، وهذه ليست في الحساب ، اليوم وفي عهود الاضطهاد ، وهي ما تعيشها مناطقنا المحتلة هذه الايام .

ويأخذون شاعرا من (شعراء المقاومة) الى السجن ، فأي فارق احدثوه بالنسبة له ؟ ويخرج . أخرجوه لانه فؤاد وقلب ، ليس غيرهما . لانه شمعة تتلاشى ، ووتر يفرد ، ونفس تحس به حين تدنو منه . هل تسجن شمعة ، ويحبس وتر ، وتخمد انفاس ؟ كل هذه معنويات لا حاجة بها الى سلاح . لا تقف أعتى الاسوار والحجرات المظلمة تحت الارض ، في وجه الكلمة ، سر شعراء المقاومة .

عبرت الاجواء من نابلس وبغداد والقاهرة وعمان وفاس ، قصائد من نور تحيي السجين : « شاعر المقاومة » » .

٢ ـ « ازالة الحواجز من الشوارع والاحياء لا تزيل الحواجز من النفوس . توحيد القدس بشطريها العربي واليهودي ، اداريا وعسكريا ، لا يوحد بين سكانها العرب، واليهود ، أحياء متقاربة الواقع ، لكن تفرقبينها مسافات شاسعة وجبال من الخلافات ، جبال من الاهداف والوسائل . ازالوا الحواجز ، وحدوا ادارة البلدية ، حاكم عسكري واحد للمدينة ، لكن هل افاد هذا شيئا ؟ هل حقق غاية ؟ قلب واحد لم يذهب اليهم حتى ولو في الخفاء . بقيت الفواصل بين النفوس في ارتفاع جبال القوس ، لا في ارتفاع جبال الهملايا . يوم الاضراب اقتنع كل مراسل اجنبي ، وكل اذاعة لها مندوب بأن هناك شعبين ، يقف كل واحد منهما عند قطب ، هذا في القطب الشمالي ، وذاك في القطب الجنوبي ، تهاوت الاستار عن المسرح الذي اوجدوه في القدس ، فاذا هناك قدس عربية وحصن البلدة القديمة ، بلدة المقدسات ، ثم احياء يهودية ، لسكانها اليهود . كل الذي صنعوه من بارات وكباريهات ، ظهر تافها ، اصطناعيا ، لا صلة له بالقدس في صورة من الصور ! كانت القدس قلعة عربية! وستظل القدس قلعة عربية ! » .

٣ ــ كنت أصغي الى اذاعة اسرائيل مساء أمس ، يا لله ، وهذا الحقد على حركة المقاومة ، على الفدائي ، اتهمته بالتخريب !

ليكن ذلك ، اتهمته بالتدمير ، لها ما تشاء ، مع انه فوق هذا وذاك . وتتهمه الان بالضعف امام التحقيق ، الا هـذا ! ان كلمـات (كمال النمري ووليم نصار) ما تزال ترن في آذان قضاة المحكمة ، وتلك الايـدي المشلولة ، هل خارت قوى اصحابها ؟ لقد صار مثل جواد قرطبة . هذا الفدائي صار مثل جـواد قرطبـة . استولى عليها الاسبان ، وما زالوا يذكرون شابا فارسـا كان يقتحم بجواده الاشهب الصفوف الى قلب المعركة ! .

وتحولت الشجاعة النبيلة الى اسطورة ، بل اساطير ، حتى بعد ان سقطت قرطبة ! كان اهلها مـن الاسـبان لا يكادون يأوون الى فراشهم حتى يفزعهم صهيل ذلـك الجواد وهو يعبر الضواحي ، والميادين ، والشوارع ، كهزيم الرعد ، حتى لم يجرؤ احد على الخروج ليلا ، في وقت معين ، مخافة ظهور الجواد يبحث عن فارسه في أجواف الليالي ، ولا يختفي الا مع خيوط الفجر .

عاشت الاسطورة وقتا طويلا ، هكذا توشك المقاومة ان تكون . بسببها رصدت السلطات الاسرائيلية خمسين مليون دينار ، انفقتها على قرى الحـدود ، والحـدود . والدوريات التي لا تنام ، والحراسـة التي تتواصـل ، والاسلاك الالكترونيات ، والاستفتاء الذي أجرته مجلة يهودية حول المقاومة ! ونسبة الاربع والستين بالمئة التي قالت بعقوبة الموت للفدائي !

كانوا بضع عشرات ، ثم بضع مئات ، ثم بضعـة الوف . العدد في تصاعد مستمر ، وغـدا ، وبعـده ، وبعـــده ! . .

أفواج تحل محل افواج . جيل جديد يغسل عـار النكبة الذي تلبس جيلا سبقه . جيل ، لايعبر الحدود وفي نفسه العودة . انه يذهب لكي نذهب !

روح جديدة ، مثل جواد قرطبة ، لكنه لا يبحـث عن فارسه .. انه يعبر وطنه ! » .

٢ ــ عبد الرحيم عمر

القول الذي أحبه « عبد الرحيم » وطفق يبشر به ، ويتغنى بجلال معناه قول ارسطو :

« اذا اختلف الحق وأخي .. فأنا مع الحق ! »

ولد « عبد الرحيم » عام ١٩٢٩ في قرية جيوس مـن قضاء طولكرم وأنهى دراسته الابتدائيـة في مدرسـة قلقيلية وانهى الدراسة الثانوية في ثانوية طولكرم عــام ١٩٤٨ .

وفي هذا العام ، عام توحيد ضفتي الاردن ، انتسب الى جامعة لندن ونال شهادة (المتوسط) فـي الادبيـن العربي والانكليزي والتاريخ القديم ، وانضم الى زحـوف المناضلين في قضاء قلقيلية وعين معلما فـي مدرسـة جيوس (١٩٤٩ ــ ١٩٥٢) .

وفي عام ١٩٥٢ بارح فلسطين الى الكويت وعمل معلما هناك حتى عام ١٩٥٩ ، اذ عاد الى الاردن وعمل منتجا في الاذاعة الاردنية فرئيسا لقسم الاحاديث الادبية فرئيسا للقسم الثقافي فمراقبا عاما للاعداد . وظل يصرف عمله هذا في دار الاذاعة الاردنية حتى عـام ١٩٦٥ اذ انتدبته وزارة الاعلام لتأسيس القسم الثقافي واخـراج مجلة « أفكار » وعهد اليه برئاسة تحريرها . وفي عـام ١٩٦٦ اودع السجن العسكري بالزرقاء ، وفي شهر ايار ١٩٦٧ افرج عنه واعيد الى وزارة الاعلام مديرا لدائـرة فلسطين ومشرفا على رئاسة تحرير مجلـة « الاذاعـة والتلفزيـون » .

قرض «عبد الرحيم » الشعر في سن باكرة واول قصيدة نشرها من نظمه في مجلة « الراي » الاردنيـة لصاحبها الدكتور جورج حبش عام ١٩٤٩ كانت بعنـوان « تحية » وقد أهداها الى المرابطين على خط الهدنة في قلقيلية ونقلتها جريدة « لواء الاستقلال » البغدادية واخذ ينشر شعره في الصحف المحلية والعربية .

ونتيجة للمصير المرير الذي آلـت اليـه القضيـة الفلسطينية اقبل على قراءة مؤلفات عديـدة لمشاهـير المفكرين ، وتأثر بكتاب « الفـن والحيـاة الاجتماعية » لمؤلفه « بليخانوف » . ولعل هذا الكتاب كان اكثر الكتب التي أثرت في موقفه الادبي .

وقرأ « عبد الرحيم » فيما بعد « سارتر » فوجده متأثرا الى حد بعيد بـ « بليخانوف » وان مجموعة الاسئلة التي طرحها « سارتر » في مؤلفه « ما هو الادب ؟ » هي نفس مجموعة الاسئلة التي طرحها « بليخانوف » الا انه ظل على وفاق معه في استنتاجاته ، وان اختلف عنـه في طريقة الوصول الى هذه الاستنتاجات .

من آثاره القلمية :

١ ــ اغنيات للصمت (ديوان شعر) طبع عام ١٩٦٣
٢ ــ كلمات لن تموت (ديوان شعر)
٣ ــ اليسار والصهيونية (تولى نشر هذا الكتاب مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت)

وبالاضافة الى هذه الاثار فلعبد الرحيم محاولات مسرحية في الشعر العامي ، ووضع مسرحيـة بعنوان « تل العرائس » وقد مثلت في المهرجانات الفولكلوريـة التي اقيمت في مدينة اريحا عام ١٩٦٥ .

نماذج من شعره : بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ وجه (عبد الرحيم) قصيدة عنوانها « سـلمـت يداك » الى الجندي الاردني الذي أسقط ببندقيته اول طائرة اسرائيلية معتدية في وادي الاردن :

سـلمـت يـداك !
فالجرح ينزف والدماء تحيط بي من كل صوب

وغمامة الحزن الملم تسد دوني كل درب
واراك كالقبس البعيد يلوح في الليل المطيف
فأحس اعصارا من الامل العنيف
الجبهة السمراء ما غابت وما زالت هناك
لن يفلح الفازون يا بلدي وان بلغوا السماك
فالموت يحسم كل امر ، حبذا الموت الشريف
فاضرب فديتك ! وادفع الذل الملم فذا حماك
سلمت يداك !
يا ايها الجندي في ليل المنايا والحدود
قد كاد ينسدل الستار
ونموت في هول العثار
وتفيض في الارض الحزينة كل احلام الصمود
لكنما عين الفداء تجوب ارجاء الفضاء
قد ايقظت كل الرجاء !
يا ايها الجندي يا رمز البطولة والاباء
ان روع الاطفال في الوطن الجريح فمن سواك
يرجى لمسح جراحهم ، واذا النساء
نادت وأعياها النداء
من يردع الخصم اللئيم سوى لظاك ؟!
سلمت يداك !

وبعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ نظم « عبد الرحيم » قصيدة رومانتيكية بعنوان « قبل ان اكتب السطر الاخير » وفيها رصد الشاعر الشاعر الرومانتيكية التي استولت على نفسه بعد حلول المأساة العربية الكبرى، ونشرتها مجلة « رسالة الاردن » فاطلع عليها ابرك بيس مراسل صحيفة « نيويورك تايمس » في الشرق الاوسط فترجمها الى الانكليزية ونشرها على الصفحة الادبية من صحيفة « نيويورك تايمس » وهذه ابياتها :

ربما الان .. ولما اكتب السطر الاخير
قبل ان اطوي جناح الورقه
آن لي أن اكشف السر الصغير
نضبت في خاطري تلك المنى
والحكايا المشرقه
يوم حدثتك عن حب كبير
يتسامى فوق اسوار الدنا
ويداري برؤاه الخارقه
كل ما تخشين من امر خطير
فاعذريني !
مزقي كل مكاتيبي اليك
ولتكن زادا لجوع المحرقه
نحن احببنا وما كان لنا
وخلقنا عالما من حبنا
نحن ما كان لنا ان نخلقه
فادفني كل حكاياتي القديمه
فبما فيها من الشوق ومن صدق العزيمه
وابتهالات هوانا الصادقه
لم تعد تجمعنا بعد الهزيمه
واعذريني انا نازح
كل دنياه ظلام وانكسار
ليت لي ان املأ الآفاق كبريتا ونار
ليت لي ان اوقظ العالم او ان احرقه
ربما الان ... !
ونحن نتلهى بشكاوى عاشق او عاشقه
ربما الان ... ولما اكتب السطر الاخير
ربما اغتالوا مناضل
ربما قد هدموا بيتا امينا بالقنابل
ومراجيح صغاري
ربما صارت لأهلي مشنقه
يا صديقه !
بشر نحن وفينا كل اخلاق البشر
تارة نحن العتاة الاقوياء
تارة نحن الغلابى الضعفاء
كل امر قد لقيناه له فينا أثر
فأعذريني !
واذا ما قلت اني رغم انفي
قد تغيرت .. رجاء صدقيني !

٣ ـ حسن البرقاوي

الحكمة التي حملها « حسن » شعارا وظل يفاخر بها قول الخليفة المأمون : « فكرت في علوم الارض فلم أر علما أعظم من النظر في عقول الناس ! » .

ولد « البرقاوي » في قرية « برقة » من أعمال محافظة نابلس عام١٨٩٢ وهو ينتمي الى عشيرة دار سيف المعروفة بحربها مع القائد المصري ابراهيم باشا في وادي الشعير بقيادة شيخها عيسى البرقاوي واحمد القاسم شيخ جماعيل .

وتعلم « حسن » في كتاب قريته وفي مدرستها الابتدائية وتلقى دروسا في العربية والفقه والمنطق على فقهاء قريته مدة سنتين ، وبعد ان ادى امتحانا في مجلس معارف نابلس الكبير عين معلما في مدرسة قريته وسلخ فيها مدة عامين ، ثم قصد الازهر الشريف ومن اساتذته الشيخ محمود ابو العيون ، استاذ تاريخ العرب قبل الاسلام ، والشيخ السبكي استاذ علم الكلام .

وبعد ان استكمل « البرقاوي » زاده العلمي عاد الى نابلس وانتسب الى الجامع الاصلاحي الكبير وقرأ العربية والفقه والمنطق على الشيخ موسى صوفان والشيخ داود هاشم .

واثر اندلاع الحرب العالمية الاولى اخذ جنديا الى دمشق وهناك اتصل ببعض العلماء كالشيخ حسن

الزبيدي اليماني وقرأ عليه المنطق وأولع في الرياضيات وقرأها في مؤلفات الدكتور فان دايك الاميركي الاصل .

وبعد زوال الحكم التركي ودخول فيصل سوريا عين « البرقاوي » معلما في المدرسة الخانقكية بحي الميدان وانتسب الى المدرسة الكاملية طلبا للعلم وقرأ الرياضيات والطبيعيات والعربية على الاستاذين درويش القصاص ومحمود الحمصي .

وفي دمشق اتصل بالشيخ بهجة البيطار ، الذي توسم فيه الذكاء وايقن ان في اهابه عالما لغويا كبيرا لما يعرفه عن علماء جبل نابلس من الفضل وطول الباع في العلم ، وشجعه على قراءة كتابي « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني ، وهذان الكتابان اثيران لدى الامام الشيخ محمد عبده .

وزاد « البرقاوي » عليهما كتابا في الاصول وآخر في الفلسفة وكان رفيقه في الانكباب على هذه المراجع الضخمة صبري العسلي رئيس وزراء سوريا الاسبق .

لم يقنع « البرقاوي » بهذا القدر من الدرس والمطالعة .. فاتصل وهو نزيل دمشق بالشيخ عبد الفتاح الامام وقرأ عليه شرح « المجلة » الشرعية الحقوقية وكتاب « علم الفرائض » وآخر في المنطق ، كما اتصل بالمرحوم محمد الانسي ، يوم كان مديرا لمدرسة الملك الظاهر بدمشق ، وقرأ عليه مع صبري العسلي كتاب « الموجز في علم الاقتصاد » تأليف « بولاد وبوليو » – وترجمة خليل مطران وحافظ ابراهيم ، وظل مواظبا على مكتبة الملك الظاهر بدمشق .

وبعد ان سلخ في دمشق سنوات في حقل التربية والتعليم نقل معلما الى ثانوية حمص وقرأ «اللزوميات» للمعري على الشيخ احمد صافي الحمصي ومؤلفات نقولا حداد في الاجتماع وعلم النفس ، وعكف مع شاب حمصي اسمه رزق انبوبة على آثار جبران التي تركت في نفسه اثرا عميقا .

واخيرا حمله حنينه الى فلسطين على وداع سوريا وعين معلما في قرية رنعيس (بقضاء رام الله) لكنه لم يستطب المناخ الاستعماري الذي يسود فلسطين ، فشخص الى الاردن وعين استاذا للعربية في ثانويات الكرك فاربد فالسلط ، واحب طلابه واحبوه ، وغرست يمينه المباركة العشرات من الشبان الذين بلغوا ارفع المناصب في الحكومة الاردنية . وتنويها باليد البيضاء التي أسبغها على شبان هذه البقعة من العالم العربي يصح تسميته « استاذ الجيل الاردني » .

وخلال عمله في قطاع التعليم بدمشق نشر اول مقال في جريدة (العمران) لمؤسسيها المرحومين الياس قوزما وقبلان الرياشي وسخا بقلمه على جريدة « الف باء » لصاحبها المرحوم يوسف العيسى ومجلة « التمدن الاسلامي » للدكتور مظهر العظمة ، كما نشر في عمان فصولا قيمة في صحف « الاردن » و « الجزيرة » و « رسالة المعلم » ولو جمعت مقالاته وفصوله في الادب والاجتماع والفلسفة وعلم النفس لجاءت في اجزاء ضخمة .

وفي الرابع عشر من شهر آذار ١٩٦٩ فاضت روح هذا المربي الكبير بعد مرض عضال ودفن في مقبرة عمان الكبرى .

نموذج من نثره : فصول ومشاهد :

فصول تختفي وتتوارى في ساحات النسيان البعيدة – ومشاهد تظهر فتلفت الانظار !

هذه المسرحية تتكرر عبر الدهور !

هل الخاتمة والنهاية تمثيل وانزواء ؟ ام هناك شيء آخر ؟ فمن اين والى اين ؟ االى الانسانية المبعثرة المتراكمة جمالا وقبحا ؟ ام الى الله المرد والى تطور فيه البقاء ؟ ان لم يكن المرء حيا خالدا فالحياة مهزلة واي مهزلة !

كنت في يوم من الايام افسر في المدرسة قوله تعالى :

« يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » فأخذني الذعر واوجست خيفة من هول ذلك اليوم ، فشعرت برعدة تهزني هزا ، والم بي طائف من التأمل البعيد : فسنح سنوحا ، وايقنت بان العالم مصيره الى الانتهاء ، ومع ان الموقف كان يدعو الى الهلع ، فلم يأخذني العجب بعدما سمعت ما سمعته من أسرار الذرة وتفجيرها ، فاذا انفجرت ذراتها فقد تحول العالم الى هباء منبث بل الى اندثار يجعل السماء غماما بل دخانا متكاثفا من سديم الكواكب المبعثرة المتساقطة في الفضاء بطريق الانتقال والتسلل ، ولقد اردفت هذا التفسير بقوله تعالى : « القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » الى آخر ما جاء في السورة ، وما كدت انتهي من هذا التفسير حتى رأيت الكثير من الطالبات شرعن يسألنني عن هذه النهاية ، ويقلن « يا استاذ هذه النهاية مخيفة جدا » ، وان هذا الموت الذي لا رجعة بعده كما نرى يزيدنا حيرة وارتباكا ، فالانسان منا يقوم في هذه الدنيا يمثل ادوارا وادوارا ثم بعد هذا التمثيل يتوارى فلا يعود .

أهذه رواية من الروايات يأخذ فيها الانسان فصلا من الفصول ترسمه له احلامه وآماله ، فتارة يحقق ما خطه ، وتارة لا يصل الى ما يريد ، فهو في قلق أحيانا واطمئنان أحيانا ، ولكثيرا ما يقلق ، ولقليلا ما يكون مطمئنا ، فانتقلت بعد هذا السؤال من حال الى حال ، واخذت افكر في فصول تلك الرواية ومشاهدها قائلا : « احقا اننا في هذا الوجود نمثل رواية من الروايات ؟ ؟ فاشتط بي الخيال فصرفني عما كنا

الشاعر المهاجر

اي شيء يسر نفس الاديب ، في ديار الاسى وقفر جديب
شاعر حائر ينوء غريبا بقيود النوى وشجو الكروب
ويماشي الورى ويبسم للنا س وخلف السرور لذع الخطوب
وتراه في هداة النور حينا واحايين في جحيم القطوب
تامه الشعر وهو بعد صبي افيقلى القريض عند المشيب
فاذا لملم المساء حواشيه وفاضت انفاسه في المغيب
ارسل الشعر ملهما يتغنى بنشيد الى القلوب حبيب
ويناجي الاعماق في غمرة الوحي ويسمو الى الاثير العجيب
فيرى عالما مهيبا غريبا غمرته اشعة من لهيب
وبسيطا من سندس عبقري نمنمته بالوشي كف الغيوب
فيرف الفؤاد من متعة الرؤيا وينهل ففوة من طيوب
ويرش الارجاء في حبز الافق زهورا تزهو بثوب قشيب
هكذا عيشة الاديب جمال في غناء ولوعة في الدروب
يتلوى من الاسى في محيط ضاع فيه كانه من كئيب
يسهر الليل واجما يتقلى فوق جمر من حزنه مشبوب
لا انيس ولا سمير لديه غير نفس تمرست بالخطوب
برمت بالوجوه لم تلق فيه غير شجو ودمعة ونحيب
فهسيس النسيم زفرة مضنى ومياه الانهار دمع غريب
وهدير الشلال صرخة قلب آده الوجد يوم هول عصيب
وزئير الرياح غضبة حر ناوشته خطوب دهر رهيب
الرزايا تناوبته وصالا والرزايا ينهشن كل اديب

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

بصدده ، ثم امعنت مفكرا فرايتني امثل مع الممثلين ، وقد بدت لي الفصول واضحة جلية ، واجبت الطالبات جوابا دينيا مختصرا .

اما الفصول فقد مرت بي سراعا فلقت لنفسي : « ألست ترين ادوار الطفولة كيف يقبضها الانسان في مسارح الحياة ؟ فهي ادوار من اللعب والاستطلاع ليرسم بالتعرف الى الاشياء صورا ذهنية كثيرة يلائم بينها ليحكم عليها ويربط بينها ربطا ، ثم ينتقل الى دور التعليم يستقرىء المعارف ويتتبع خواص الاشياء ليدرجها تحت قاعدة لا تتخلف عنها جزئياتها ومسائلها، فتنطبق عليها انطباقا تاما من غير ما شذوذ . ولكم يتنقل به الفكر من مرحلة الى مرحلة. فمن المحسوسات الى المجردات فاحصا باحثا متثبتا ، فهو في هذه المواقف مستلهم يكشف من نفسه اسرارا ولكنه يمثل فصولا غريبة عجيبة ، فاذا جاء دور المراهقة والشباب اخذ يوارفه الحب فيذيب فيه عواطفه ومشاعره ، فيشدو بأنغامه مثيرا اوتار نفسه ، عازفا منصرفا عما يعانيه من كبت دفين يقض مضاجعه ، ويشغل خاطره .

فهذا الجمال ، وهذا السحر ، وهذه الرشاقة ، وهذا الابداع يفعل في نفسه الافاعيل فيشجيه ويضنيه ويصور له ما يصور .. فهو في هناء وشقاء معا يتعاقبان عليه ، ففي عذابه حياة لقلبه ونفسه ، وانها لمكابدة تبتسم بها احلامه ، وتزدهر امانيه ، ليحقق ما يصبو اليه بعدما كده التعب واجهده الاعياء ! » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ان كنت تذكر

ذكرى ١٥ ايار سنة ١٩٤٨

محي‌الدين الحاج عيسى

حلب

هل تذكرن حمى الديار وقد نات عنك الديار
ونأيت عنها ضارعا تبكي وقد شط المزار
وتعيش عيشا بائسا لا يستقر له قرار
قلقا تحف بك المكاره كالحتات والصغار
تنعى على الايام عثرتها وما منها العثار
فالذنب ذنبك أنت لا يجدي عن الذنب أعتذار
لو كنت مت مدافعا عنها لكان لك الفخار
فالموت خير من نزوح فيه اذلال وعار

يا شهر مايس ما عساه يفيدنا فيك أدكار
مضت السنون تدور عابسة ونحن لها مدار
قد أثقلتنا بالهموم وكاد يقتلنا الدوار
لـ مؤلق في أيامها يوما يضيء له نهار
الكوخ كوخ اللاجئين فنوره لا يستنار
والخيمة النكداء يكمن في جوانبها الضرار
لا الحر تدفعه ولا يوم الشتاء بها قرار
الريح تضربها فيطوي ثوبها او يستطار
ويكاد يخنقك الغبار اذا بها ثار الغبار
والجوع والامراض فاتكة فما منها فرار
عيش على الصدقات لا يبقى لصاحبه اعتبار

هل تذكر الشهداء فالذكرى لنا فيها اعتبار
خاضوا المعارك لم يرعهم عندها النقع المثار
وفدوا فلسطين الحبيبة والحراب بها احمرار
وصدى المدافع والرصاص له دوي وانفجار
كم ثورة في أرضها ثارت وكان لها ابتدار
ذاق العدو بها الردى وغشاه ذل وانكسار

ان كنت تذكر كل هذا اين عزمك والشفار ؟
هذي بلادك تستغيث وقد أضر بها الاسار
وعدا عليها الغاصبون فحل مغناها البوار
فبكت حمائمها عليك وابطل الشدو الهزار
وبنو أبيك هناك قد نظروا وطال الانتظار
فانهض لحقك والفداء هو الوسيلة والشعار
ما غير نيران الحديد بل على الخصم انتصار
بالمدفع الرشاش بالصارم للباغي اندحار

أم أنت ترجو العدل ممن أجرموا قصدا وجاروا
الضالعون مع اليهود الا هم الرهط الشرار
أحماة اسرائيل لا يبقى مدى الدهر اغترار
انا ترسمنا الطريق فلن تضللنا القفار
سنعود نردي المعتدين فلا يقوم لهم جدار
وتقوم وحدتنا لها في كل منزلة منار
في ظلها تحيا العروبة والاثارة والنجار





بقلم عبد الحميد الانشاصي

راجح هو الابن البكر لمختار القرية. طويل القامة ، عريض المنكبين ، قوي العضلات ، ضخم الرأس ، واسع الخطوات .

(راجح طويل الطموح ، عريض الشهرة في القرية ، قوي الثقة بنفسه ، ضخم العقل ، واسع الحيلة) .

والده مختار محترم ، وهو ثري وذكي وان كان اميا . وقد جمع ابنه راجح بين الذكاء والثقافة فتمكن بذلك من ان يكون مديرا لمدرسة القرية . ولم يكتف بما حصل من المعارف والعلوم في المدرسة بل اضاف الى حصيلة ثقافته ما اكتسبه من مطالعات واسعة في مجالي الادب والعلم حتى اصبح مرجعا في هذين المجالين في القرية. وهو لا يأنف ان يستخدم جسمه في حرث الارض وفلاحتها كما يستخدم عقله في كسب المعارف والعلوم . وبذلك ادخر في عضلات جسمه من القوى البدنية مثل ما ادخر في عقله من كنوز الثقافة . ينتقده القرويون لانه يميل الى الوحدة . وهو ينتقدهم لانهم يراقبونه ويحاسبونه على تصرفاته. يفكر كثيرا ويتكلم قليلا . وهذا ما جعله مبهما غير مفهوم . لم يفهمه القرويون فهما صحيحا الا حينما اختفى فجأة من القرية . في اول الامر انبثت اشاعات كثيرة متناقضة حوله ، ولكنها استقرت اخيرا على الحقيقة التي لم يشك فيها احد وهي ان راجحا كان يتدرب في الخارج على حمل السلاح ليلتحق بالفدائيين . وفي اثناء غيابه نسف الاعداء قريته بلا سبب سوى ان أرضها تصلح لاقامة مستعمرة عليها ، وان السهول الواسعة التي تحدق بها تصلح لجميع مشاريع المستعمرة التي أزمع انشاؤها .

عاد راجح من معسكر التدريب وهو لا يعلم ما جرى لقريته . عاد لينبيء والديه انه اصبح فدائيا ثم يودعهم ليلتحق باخوانه الفدائيين . وكان وقتئذ متخفيا بقنباز وعقال .

انتهى راجح الى رابية تشرف على مسقط راسه وهو خالي البال مما يعكر تفكيره . ثم اطلق نظرة مشتاقة امامه ، ولكنها لم تحط على القرية . حطت على اكوام من الحجارة والطين . لم يصدق عينه. خطا خطوات مضطربة ذاهل العقل ثابت النظر . وكلما اقترب من ركام القرية ازدادت اكوام الردم ارتفاعا وامتدادا ، وازدادت نفسه تألما . ثم وقف بجانب احدى الاكوام يسرح نظره فيها في تأسف وكآبة . لقد اختفت قريته الحبيبة بسكانها ودورها وازقتها واشجار حدائقها وزرائب اغنامها ومخازن حبوبها .. اختفى منزله وملاعب صباه ومدرسته التي كان يعلم فيها ويُشرف على ادارتها . لم يبق منها الا تلال صناعية صفار مجاورة لتلال طبيعيةكبار وهضاب وجبال. لم يجد هناك احدا يسرد عليه قصة القرية التي نسفها الاعداء، ويعلمه اين ذهب اهلها ، وابن يقيم اهله . ولكنه ادرك ان الصهاينة هم الذين نسفوها .

بحث عن بقايا داره . مضى وقتطويل وهو يبحث عنها. واخيرا لاح له جذع شجرة التوت التي كان يطالع تحتها ، وقد حمل غصنا مكسورا . اهتدى الى موقع الغرفة التي وضع فيها مكتبته . وهناك وقف مطرقا متأملا متنهدا . اين كتبه ؟ لا شيء غير الردم ــ الحجارة والطين . ازال بعض تلك الحجارة والطين عن ارض الغرفة فوقع بصره على كتاب ضخم ، فانتشله من بين الانقاض ، ومسح ما علق به من التراب ، فاستطاع ان يقرأ على غلاف الكتاب « الامالي لابي علي القالي » . وازال شيئا اخر من الردم حتى تمكن من ان ينتزع من بين فكي حجرين رواية روسية مترجمة الى العربية بعنوان « الجريمة والعقاب » . ثم تأبط الكتابين ، وغادر المكان راجحا وهو يتلفت وراءه من حين الى اخر مطلقا تنهداته في صمت .

(اصوات من الداخل : ويل لكم ايها الاوغاد ! بأي حق تنسفون تلك القرية النافعة العزلاء ؟ كيف تشردون اهلها وهم اصحابها واصحاب اراضيها ؟ الى هذه الدرجة تحتقرون غيركم من البشر ؟ ان من يحتقر غيره من البشر ليس اهلا لان يعيش بين البشر ! ابحثوا لكم عن غابة يسكنها الوحوش لتتخذوها وطنا لكم بدلا من هذه الارض الخصبة المزدهرة التي يسكنها قوم كرام نُبلاء النفوس شجعان القلوب).

(منظر في الداخل : يتناول عددا من الصواريخ ويطلقها على مستعمرة يهودية واحدا بعد الاخر حتى يدمرها ويحولها الى حرائق تأكل سكانها واثاثها) .

ولم يكد راجح ينتهي الىالروابي المشرفة على قريته حتى لاح له رجل جالس تحت شجرة من اشجار الزيتون . ولما دنا من ذلك الرجل اجال نظره في وجهه فعرفه وصاح:

ــ ابا احمد !

فرفع الرجل وجهه عن صندوق خشبي كان يصفف فيه الخضروات، وقال بعد لأي بنغمة ضعيفة :

ـ اهلا استاذ راجح ! اهلا وسهلا !

وتصافحا .

ـ ماذا تفعل ؟

ـ اضع الخضروات في الصناديق. انها خضروات مزرعتي . هذا الشيء الوحيد الذي يمكنني اخذه من القرية .

(لقد اختفت قريتك يا راجح ، وتشرد اهلها . لم يبق منهم احد) .

ـ من هدم القرية ؟

(نسفها اليهود ؟؟)

ـ لقد نسفها اليهود . نسف الله مدنهم وبيوتهم !

(اكاد اموت غما يا راجح) .

ـ متى كان ذلك ؟

ـ منذ اسبوع تقريبا .

ـ فقط ؟

ـ نعم .

ـ الى اين ذهب اهل القرية ؟

ـ لقد تشردوا . التجأوا الى اماكن مختلفة .

(مساكين ! الله يعلم ماذا يكون مصيرهم) .

ـ هل تعرف الى اين ذهب اهلي والداي و اخوتي ؟

ـ لست ادري يا استاذ . لعلهم في مخيم في الضفة الشرقية .

فهز راجح رأسه في صمت وحزن . وبعد قليل قدمت سيارة فيها رجلان ابيضا اللون انيقا الملابس ، ثم توجها الى انقاض القرية . ولما انتهيا اليها اخرج احدهما مقياسا من جيبه . فأمسك الرجل الاخر طرفه ومضى الى ناحية بعيدة عن رفيقه . فقال راجح لابي احمد :

ـ ماذا يفعل هذان الرجلان ؟

ـ انهما يقيسان ارض القرية لاخذ مساحتها . هذه المرة الثانية التي قاسوا فيها ارض القرية .

فهز راجح رأسه مرة ثانية في اسى وقال :

ـ واذن فهم يريدون ان ينشئوا مستعمرة في مكانها ..

(اليس في العالم احد يحاسبهم على هذا الظلم الواضح ؟)

ـ اجل .

(واأسفاه ! كأننا لم نكن في يوم من الايام سكان قرية في هذا المكان).

ثم قذف راجح من فمه بصقة مدوية نحو المهندسين الصهيونيين ، ومضى بعد ان القى السلام على ابي احمد . مضى نحو المكان الذي ينتظره فيه اخوانه الفدائيون .



عبد الحميد الانشاصي

•

سار الفدائيون قبيل المغرب يحملون مدافع رشاشة وانواعا اخرى من الاسلحة . وكان بينهم راجح . بدا بطول قامته وضخامة رأسه كقائد عظيم . اما قائد الفدائيين الحقيقي فقد بدا كفرد عادي من الفدائيين . كانوا يمشون بين صفوف من اشجار الزيتون . وقد امتدت عن يمينهم طريق معبدة باسفلت . وكانوا ينتظرون سيارة حاملة جنودا للعدو تم[redacted]ك الطريق لكي يمطروها بوابل من رصاصهم ، فان معسكر الصهاينة يقع على بعد نصف ساعة من المكان الذي كانوا يسيرون فيه . وكلما سمعوا ازيزا او ضجة التفتوا واستعدوا بأسلحتهم لاطلاق الرصاص . مرت سيارة تاكسي ، ثم مرت سيارة نقل. واخيرا سمعوا صوتا خفيفا يقترب منهم على الطريق العام . فارهفوا اسماعهم . انها سيارة عسكرية . اتجهت انظارهم نحو الشمال ـ نحو المكان الذي انبعث منه الصوت . وصاح القائد بعد ان القى نظرة من خلال منظاره :

ـ استعدوا ! انها سيارة عسكرية! ما في ذلك شك . استعدوا يا اخوان !

وهتف احد الفدائيين في فرح :

ـ انها سيارة جنود . اؤكد لكم انها سيارة جنود .

ثم صاح القائد :

ـ تفرقوا ! تحصنوا بأشجار الزيتون ! هيا !

واختبأ كل من الفدائيين وراء جذع شجرة . ولم تكد السيارة العسكرية تمر من امامهم حتى اطلق الفدائيون الرصاص عليها . فترجل الجنود ، واختبأوا وراءها ، ثم راحوا يطلقون الرصاص على الفدائيين . كانوا عشرة وبينهم ضابطان . لقد احتموا بعجلات السيارة ، ولم يبد منهم الا بعض ارجلهم . لم يتمكن الفدائيون منهم تمكنا يرضيهم ، فقد كان الجنود محتمين بالجانب المقابل للجانب الذي يواجه الفدائيين من السيارة . قتلوا جنديين فقط . مضى وقت طويل دون ان يقتلوا جنودا اخرين . وهم يخشون ان تأتي نجدة لانقاذ الاعداء. وقد غربت الشمس ، وبدأ المساء ينفث غباره البني شيئا فشيئا .

لم يستطع راجح ان يصبر طويلا . يريد ان يفني بقية الجنود

مرة واحدة ليستريح منهم ويتذوق النصر والغلبة كاملة . خطرت في باله فكرة . لم لا ينتقل من مكانه الى مكان اخر وراء الجنود فيتمكن منهم ويبيدهم جميعا ؟ استلقى على الارض ، وراح يزحف في بطء مبتعدا عن اخوانه الفدائيين . فناداه احدهم . ثم ناداه اخر ونصحه بالتحصين بجذع شجرة . صاح القائد يأمره بملازمة مكانه خلف الشجرة لئلا يصيبه رصاص الاعداء . ولكن راجحا لم يلتفت الى قوله ، ولم يعمل بنصيحة زميله . واصل الزحف بقوة مؤلفة من حقده على اولئك الذين نسفوا قريته ، ومن حرارة دم شبابه الذي يجري في عروقه ، ومن امله العظيم في ابادة اعدائه . انه لا يرى الان جنودا يطلقون النار بل حشرات مختبئة وراء عجلات سيارة . لم يطلق الرصاص على الجنود اثناء زحفه . لذلك لم ينتبهوا له . كان جهدهم موجها نحو رفاقه . لقد ابتعد الان عن الفدائيين وعن الجنود بعدا شاسعا . وبعد ذلك قطع الطريق زحفا ودخل الارض الممتدة على الجانب الاخر من الطريق .

وكانت تلك الارض عامرة بالمزروعات . غير انه لم ينبت فيها غير شجرة زيتون واحدة ـ شجرة زيتون رومية قديمة ضخمة الجذع قليلة الاغصان عاليتها . وقفت في وسط السهل في جمود ورزانة وشموخ كأنها تمثال نحته فنان مجهول . وهي بعيدة عن السيارة . ظل الفدائي يزحف نحوها بكل قواه و صبره وامله داسا نفسه في المزروعات حتى وصل اليها . وقد تمزق معطفه وقميصه وبنطلونه ، وسال الدم من ركبتيه . ولكنه بلغ الهدف الذي كان يسعى اليه . تحصن راجح بجذع الشجرة ، وراح يمطر الاعداء بوابل من الرصاص دون ان يكون لهم علم بوجوده خلفهم . وكانوا يستلقون او يتمددون على الارض قتلى او جرحى والدماء تسيل من اجسامهم كاسية الاعشاب اثوابا ارجوانية مهلهلة رخيصة ، وصابغة الحجارة والحصى بحمرة كحمرة اللهب . قتلوا جميعا ما عدا واحدا . جندي واحد ظل يطلق النار على راجح مرة وعلى زملائه اخرى .

وفجأة راى الفدائيون سيارات النجدة تقدم نحوهم ، فصاحوا منادين راجحا لينضم اليهم فيعودوا الى مقرهم . ولكن راجحا انطلق الى ناحية بعيدة عنهم . راح يركض ورصاص الجندي يتعقبه . واخيرا اصابته رصاصة في ساقه اليسرى ، فوقع على الارض . غير ان احد الفدائيين تمكن من قتل الجندي وهو ينسحب من مكانه . وقد امتد الظلام كظل ثقيل . واخذ الفدائيون يتفقد بعضهم بعضا . قال القائد :

ـ هل نحن جميعا هنا ؟

فأجابه احد الفدائيين :

ـ كلنا هنا ما عدا راجحا .

(اخشى ان يكون قد جرح) .

ـ اين راجح ؟

(يا له من رجل شجاع مقدام !)

ـ رأيته يركض !

ـ لعله في طريقه نحو مقرنا .. هيا نعود . اسرعوا بالعودة فان سيارات الاعداء قادمة . اخشى ان يطوقونا . هيا !

توقفت سيارات الصهاينة في المكان الذي جرت فيه المعركة بين الفدائيين والجنود . وترجل ركابها الجنود ، وراحوا يبحثون عن رفاقهم في السيارة المحطمة . ثم سرحوا نظراتهم في الارض فوقعت على جثث وعلى اثنين من الجرحى يكادان يفارقان الحياة . وضعوا القتلى والجريحين في سيارة اسعاف ، ثم تفرقوا هنا وهناك باحثين عن الفدائيين ، ولكنهم لم يعثروا عليهم ، فقد ابتعدوا عن مكان المعركة ، وتوغلوا في امكنة وعرة ضيقة ملتوية كالامعاء ومسقوفة بسرادق من الظلام . اما راجح فقد اختبأ في المزروعات ، وضمد جرح ساقه بمنديله . مر به احد الجنود بمصباح كاشف ، ولكن عينيه لم تقع عليه . واخيرا ركب الجنود سياراتهم وعادوا من حيث اتوا يجرون وراءهم السيارة المحطمة .

حار راجح في امره . لم يدر ماذا يفعل بعد ان كسر عظم ساقه . انه لا يستطيع ان ينهض ويعود الى مقر الفدائيين . خطر في باله ان يقتطع غصنين صغيرين من شجرة الزيتون التي كان محصنا بها فيتخذهما عكازتين ليتوكأ عليهما لعله يتمكن من الوصول الى احد بيوت العرب . ولكن شجرة الزيتون لم تنبت منها فروع صغيرة تصلح لاتخاذ عكازتين منها . وهي فضلا عن ذلك عالية عليه ليس في امكان يده ان تبلغها . ولكنه لم ييأس بل راح يزحف على جنبه الايمن بقوة يديه جارا ساقه المكسورة ، والدم ينزف من جرحها ، و جارا مدفعه الرشاش ايضا . زحف على الاعشاب والحجارة والحصى وعلب تنكية دفن بعضها في التراب وبان بعضها . ومر جنبه على قطع زجاجية واخرى حديدية ، وعلى اسلاك معدنية وحشرات متنوعة .. فازدادت ملابسه تمزقا بعد ان تمزق شيء منها في زحفه الاول نحو الاعداء . واحس بجروح ملتهبة في جلده مضافة الى جروحه الاولى . فاضطر ان ينقلب على ظهره ويواصل الزحف مريحا بذلك جنبه . وظل الفدائي يزحف حتى تمزقت ثيابه عن ظهره ، وفتحت فيه جروح كتلك التي فتحت في جنبه . وقد اطبق اسنانه وشفتيه من شدة الالم مولدا في نفسه عزيمة فوق طاقته واملا في الوصول الى منزل يسكنه قوم من العرب لعلهم يسعفونه ... غير ان ما عاناه من العذاب الذي

وحـدة

لا تتركيني هـا هنـا وحـدي — في الليل بين البرق والرعـد
لا تتركيني والريـاح لهـــا — اعـوالـة المفجـوع بالفقـد
يا اخت روحي انني شبح — احيـا على الدنيا بـلا قصـد
لا شيء غـير الشـعر احملـه — وبضوئه في السير استهدي !
لا شيء عندي بعـده ابـــدا — فقصائدي هي كل ما عندي !!

البحرين — احمد محمد الخليفة

حل به بسبب كسر ساقه لم يشغله عن التفكير في الانتصار الذي احرزه بقتل بعض الاعداء وجرح بعضهم . انه الان يزحف زحف بطل لا مهزوم. شعر بانتعاش يخفف وطأة الالـم عن جسمه ، فقد انتقم لنفسـه ولقومه من الصهاينة الذين نسفوا قريته ، وهو يؤمل ان يتم انتقامه. وها قد نجا منهم سالما وان كسرت ساقه . ان ساقه سيجبر عظمهـا عن قريب . وبينما كان يزحـف اذ لاحت له شجرة توت دانية الفروع . فانبسطت اسارير جبهته اغتباطا . يمكنه الان ان يقطع فرعين من فروع تلك الشجرة ويتخذ منهما عكازين . وحينما اقترب من الشجرة استرد الكثير من عزيمته ، واصبح نفسه طبيعيا بعد ان كان متقطعا . لقـد افعم قلبه بالامل . امسك جـذع الشجرة بيديه ، ثم تحامل علـى نفسه حتى انتصب واقفا على ساقه السليمة مستندا بجنبه الى جـذع الشجرة ، ثم استل خنجره مـن جنبه ، واقتطع فرعين من الشجرة . جلس على الارض ، وراح يشـذب الفرعين حتى حولها الى عكازيـن خشني الصنع . وكان احدهما اطول من الاخر . ولكنه تمكن من التوكؤ عليهما والدوس بقدمه اليمنى . ثم اقتطع بضعة اعواد اتخذها جبيـرة مؤقتة لساقه بعد ان ربطها بمزق من قميصه . وبعد ذلك تنكب المدفـع الرشاش ، وراح يقفز بعكازيه حتى قطع مسافة مئة متر تقريبا . لاح له ضوء منبعث من مكان قريب . فاتجه نحوه وكله امل ان يكون الضـوء منبعثا من منـزل عربي . ظل يقفز بعكازيه حتى شعر بألم شديد فـي ابطيه من خشونة ومن نتوءات فـي اعلى العكازين . وشعر ايضا بتعب والم في قدمه اليمنى من شدة الاعتماد عليها وحدها في المشي .. غير ان المه كان بلسما لآلامه وتعبه ؛ ايقن انه لا بد ان يستريح هناك ويجد من يجبر عظم ساقه . واخيرا وصل الى المكان الذي انبعث منه الضوء . انه منزل صغير متواضع . اقترب منه فسمع كلاما عربيا منبعثا مـن نافذته ، فخفق قلبه خفقان الفرح. طرق باب المنزل ، فخرج اليه شيخ. اضافه الشيخ . وفي منـزله قص عليه راجح ما جرى بين الفدائيين والجنود الاسرائيليين . وفي اثنـاء حديثه لاح لراجح وجه ملثم يطـل عليه من نافذة المنـزل ، فخشي ان يكون الوجه وجه جاسوس . فطلب من رب البيت ان يدله في سرعـة على رجل يجبر عظم ساقه . فاحضر له الشيخ حمارا فامتطاه . ورافقه احد اولاد الشيخ في طريقه الى رجل ماهر في جبر العظام . وصلا منزل ذلك الرجل . وبينما كان هذا يجبر عظم ساق راجح اذ اطل من نافذة المنزل وجه مستطلع . وقد لمحـه راجح فلم يبت في منزل الرجـل بل طلب منه ان يعطيه ثيابا يستخفي بها، وان يوصله على دابة الى مقـر الفدائيين . وقد فعل الرجل ذلك. وحينما وصل راجح الى مقـر الفدائيين احاطـوا بـه مغتبطين مصافحين . وقد سرد عليهم مـا جرى له اثناء غيابه عنهم . فحمدوا الله على سلامته . ثم قال احدهم لزملائه :

ــ غدا نطلق صواريخنا علـى المستعمرة اليهودية .

(ليت راجحا يذهب معنـا فيشاركنا في هذا العمل !)

فقال راجح للقائد محرقا الارم :

ــ متى اقاوم معكم ؟ انني مشتاق الى المقاومة .

(انني لا استطيع ان اصبر حتى يجبر عظم ساقي) .

ــ بعد ان يجبر عظم ساقك .

(لا شك اننا في حاجة شديدة اليك ، فقد برهنت على انك رجل صميم وعربي قح . ولكن مـاذا نصنع وقد كسر عظم ساقك ؟)

★

في اليوم التالي نسف الصهاينة المنزل الذي اضاف فيه الشيـخ الفدائي ، ورحلوا الرجل الـذي جبر عظم ساقه هو وافراد اسرته الى الضفة الشرقية . جرى كـل ذلك والفدائيون الابطال يطلقـون صواريخهم على مستعمرة يهودية . وقد اسفرت المعركة عن قتل عدد كبير من الاعداء ، وهدم الكثير من منازل المستعمرة ومنشآتها وعماراتها ومراكزها الهامة . ثم شبت فيهـا حرائق ترفرف بأجنحتها الدامية .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

المرأة

القيت هذه القصيدة بحفلة يوم المرأة العالمي بزحلة

●

سيري الى الاصلاح والعلياء ... أخت الرجال وملهم الشعراء
سيري إمام الجمع حولك كلنا ... في وحدة وطنية غراء !
للذود عن وطن عزيز خالد ... في الساعة النكراء والسوداء
والموت أشرف ما يكون فداءه ... وفدى لواء الارزة الخضراء
في كل مكرمة وكل ملمة ... ألقاك .. في السراء والضراء
يا من عطفت على الفقير وبؤسه ... وغمرته بأكفك السمحاء
ومسحت جرحا داميا فشفيته ... بيد كبرعم وردة قمراء
فكأنها كف المسيح ادارها ... فشفت جراح الناس دون دواء
من لا يرى فيك الحياة فجاهل ... متعنت ذو مقلة عمياء
أو كيف يجحد فضل أم أنجبت ... خير البنين وفضلها متراثي
أو عطف اخت اخلصت لشقيقها ... باخائها أكرم بذا الاخاء
أو زوجة تحنو على اطفالها ... وشريكها بمحبة ووفاء ..
تعطي الصغار حنانها وحياتها ... هل من عطاء بعدها .. لعطاء
تلك الانامل كم تحوك ملابسا ... ببراعة ولباقة ودهاء
واذا طهت فالاكل يصبح متعة ... وامتعة الجلساء والندماء
تلك الاصابع ذي أصابع زينب ... قليت لناكل أطيب الحلواء
تفتر في الاطباق مثل سبائك ... وكأنها بقج من الاضواء
أما عن الحسن الخفي فانه ... ملء القلوب وملء عين الرائي
هي لمحة فيها لمحت لطائفا ... من أمتع الاشياء .. والاشياء
أتحب شقراء ؟ أجبت أحبها ... مع انني أهفو الى السمراء
واحب كل مليحة مغناجة ... فالحب هذا .. شيمة الشعراء
لولاك لم أك شاعرا يا غادتي ... لولاك كان الكون دون بهاء
فيك الدهاء طبيعة بل خلقة ... ان الدهاء دليل فرط ذكاء
في كل فن في الحياة ملمة ... بالرسم والانشاد والالقاء
فاذا كتبت بك الصحائف تزدهي ... او قلت شعرا كان سكب ضياء
أنت الملاحة واللطافة والمنى ... بل أنت أنت الكون ـ ياحسنائي

زحلة ـ لبنان

رياض معلوف

ابن مردنيـش

بقلم فؤاد جبور حداد
من « العـروة الوثقى » في لندن

***

يستهويني التاريخ العربي في اسبانيا لانه يمثـل دورة حضارية كاملة . فقد جاء العرب الـى الاندلس دون ان يكون لهم فيها اثر سابق فأسسوا دولة وحضارة وممالك ثم دار الزمان دورة كاملة فخرجوا منها خروجـا تامـا وكما قال الشريف الرندي « وكان القوم ما كانوا » .

ويمكننا ان ننظر الى التاريخ نظرة علمية كما ينظـر العالم الى كائن حي تحت المجهـر فنراقـب ونستخلص النتائج دون ان يتهمنا احد بأن ما نقوله سفسطة اكاديمية فاذا قال قائل وما يهم ما عمله العرب في الاندلس او مـا لم يعملوه فذاك زمان مضى وعهد انقضى والجواب علـى ذلك ان ما عمله العرب في الاندلس وما لم يعملوه امـر على جانب عظيم من الاهمية ذلك لانه يعكس لنا ويصور الخلق العربي . والخلق العربي لا يزال معنا وبين جنبينا وفي ضلوعنا فما احرى بنا ان نفهمه ونعرفه على حقيقته وما احرانا بتحري اي امـر يلقي عليه ضوءا فيرينا اياه رؤية اجلى واوضح .

كثيرا ما الح علي هذا السؤال لماذا لم يتكون مـن العرب والاسبان امة واحدة هي سبيكة من الامتين فقـد بقي العرب هناك حوالي ٨٠٠ سنة كان التزاوج اثناءها قائما بين الطرفين وكان الامـراء والخلفـاء يتزوجون الاسبانيات واولادهم يفعلون ذلك الى حد ان مؤرخا حسب مقدار الدم العربي في عبد الرحمن الناصر اول خلفـاء بني امية فوجده جزءا صغيرا جدا . ولكن العرب كانوا يتبعون دائما بالعرف التحدر من الاب فقط ولم تكن العوامل الوراثية التي كانت تأتي من جهة الام ذات اهمية كبـيرة في حسابهم . ويقف المرء عند الفتح النورماني لانكلتـرا فيجد وجها قويا للشبه بنيه وبين الفتح العربي لاسبانيا ولكن النورمان لم يلبثوا بعد ثلاثمائة او اربعمائة سنة ان ذابوا في السكان الاصليين واليوم لا نجد في انكلترا مـن يعرف أن كان يمت الى النورمان او السكسون والحقيقة انه ليس هناك من ينتمي الى جهة دون اخرى فقـد انصهرت الامة في الاخرى فكونتا امة جديدة لها عناصر وصفات ومقومات جديدة . ولو نظرنا الى تونس والجزائر والمغرب لوجدنا ان العرب والسكان الاصليين اصبحـوا امة واحدة لها خصائصها ومميزاتها الجديدة . اذن لماذا لم يحدث هذا في الاندلس . الواقع ان الشخصية او القومية الاندلسية قد بدات تظهر فعلا في شرق الاندلس ايام « ابن مردنيش » ولهذا اود ان اتحدث عـن هـذه الشخصية بشيء من التفصيل فهي شخصية من اطـرف الشخصيات واغربها فهو زعيم الحركة القومية الاندلسية التي لم يكتب لها التوفيق لاسباب مهمة سنأتي علـى ذكرها فيما بعد .

كان محمد بن سعيد بن مردنيش يحب ان يقال عنه انه من اصل عربي وانه من جذام ولكنه كان يعرف جيدا وكان الناس يعرفون جيدا انه من اصل اسباني فجـده « مرتين » او « مرتينيز » قد اعتنق الاسلام فتحور اسمه الى مردنيش . ونجد حب الانتماء الى الارومة العربيـة موجودا بكثرة في تاريخ المغرب والاندلس وهي ظاهـرة طيبة تعكس رغبة المرء في ان تكون له جذور في تاريخ الامة التي تبنته واصبح ينتمي اليها فنجد هذا حتى لدى بعض امراء المرابطين والموحدين مع ان اصولهم الغـير عربية كانت واضحة وظاهرة للجميع . وكـان شـرق الاندلس عربيا اكثر من باقي جهات الجزيرة ولهذا ليس من الغريب ان يرفع فيها ابن مردنيش لواء القوميـة الاندلسية العربية الاسلامية تلك التي انضوت تحت لوائها العرب الذين دخلوا الاندلس منذ اوائل ايام الفتح أي قبل ذلك العهد بحوالي اربعمائة سنة ولهذا فقد اصبحت لهم جذور في الجزيرة واصبحوا يحسون ان تلك هي بلادهم وانهم ليسوا دخلاء عليها من الخارج وكذلك الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام فجذورهم في الاندلس قديمة قوية ثـم هناك الاسبان الذين استعربوا ولم يدخلوا الاسـلام . وكانوا يعرفون بالمعاهدين وكانت بينهم وبين المسلمين من عرب وبربر وأسبان اواصر محبة وقربى ويظهر ذلـك عندما سقطت بلنسية لاول مرة في يد الاسبان فقد وافق العرب على تسليم المدينة شريطة ان تحكم جماعة مـن المعاهدين وهم الاسبان الذين استعربوا ولـم يعتنقوا الاسلام أي الذين يرتبطون بالعرب بأواصر اللغة والتقاليد واسلوب المعيشة ويرتبطون بالاسبان بآصرة الدين .

وتقول لنا كتب التاريخ ان ابن مردنيش لـم يكـن الشخصية المثالية للدور التاريخي الذي اضطلع به فقد كان قاسيا فاسقا سفاكا للدماء والصورة التي تكونها لنا كتب التاريخ عنه على العموم هي صورة منفرة ولكـن لا شك ان المؤرخين الذين كتبوا عنه بعد سقوطه وفشله قد عنوا باظهار تلك النواحي السوداء من اخلاقه والمبالغة في ذكرها وذلك رغبة منهم في ارضاء الموحدين اعدائـه الذين تولوا حكم الاندلس عامة من بعده . وليس مـن المستبعد ان تكون تلك الصفات القاسية التي عرفت عنه قد تولدت لديه نتيجة لليأس الذي حل في قلبه عندمـا

أيقن ان حركته فاشلة لا محالة فأمسى كالمجنون يتصرف وكأنه ينتقم لنفسه من الناس الذين قاتلوه والذين خذلوه.

ومهما قيل عنه فان الحقيقة الباقية هي ان ابن مردنيش قد حكم شرق الاندلس كله حوالي ربع قرن ورفع هو وصهره « ابن هموشك » وهو ايضا اسباني مسلم راية القومية الاندلسية المستعربة في وجه ممالك الاسبان ووجه الموحدين اي في وجه جميع الذين كانوا يحاربون على اساس ديني ولم يفشل الا عندما خذله صهره وقائد جيشه ابن هموشك لاسباب شخصية وهي تطليق ابن مردنيش لزوجته صبيحة ابنة « ابن هموشك » فما كان من الصهر الا ان سلم جيشه الى الموحدين وجاء معهم يحارب سيده السابق ويدلهم على عوراته ومواطن ضعفه فلا عجب ان احس وكأن الدنيا كلها اطبقت عليه من كل الجهات الى حد ان امه مضت تتآمر عليه ويقال انها هي التي قتلته في النهاية بأن دست له السم في طعامه .

ولد ابن مردنيش في الثغر الاعلى في قلعة اسمها بنوسكلة Peniscola قرب طرطوسه عام ١١٤٠ وتولى حكم شرق الاندلس وهو في الرابعة والعشرين من عمره وكانت اوروبا تعرفه باسم الملك لوبو Rey Lopo أي الملك الذئب لاقدامه ودهائه ويقول ابن الخطيب « انه كان له يومان في الاسبوع يوم الاثنين والخميس يشرب مع ندمائه ويجود على قواده واجناده ويذبح الابقار في المواسم ويفرق لحومها على الاجناد ويتخلل ذلك لهو كثير حتى ملك القلوب من الجند وعاملوه بغاية النصح وربما وهب المال في مجالس انسه » ويذكر المقري صاحب النفح ان ابن مردنيش كان من ابطال عصره وانه كان يدفع في المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا :

« أكر على الكتيبة لا ابالي ، أحتفي كان فيها ام سواها »

.. وأراد الملك لوبو (ابن مردنيش) أن يؤمن ظهره من الخلف فعقد اتفاقيات صداقة مع الجنويين واهل بيزا وأرسل الى هنري الثاني ملك انجلترا هدية من الذهب والحرير والخيل فبعث اليه ملك انجلترا هدية اخرى .

كانت عاصمة ابن مردنيش مدينة مرسية ولكن مملكته كانت واسعة مترامية الاطراف فلو قسمنا شبه الجزيرة بخطين عاموديين الى ثلاثة اقسام متساوية فان مملكة ابن مردنيش تكون مساوية تقريبا للجزء الشرقي من الاقسام الثلاثة وكانت اهم مدن مرسية وبلنسية وجيان واحتل قرطبة لفترة من الزمن واخذ يهدد اشبيلية وأرسل قواته لاحتلال غرناطة فامتنعت الحامية الموحدية في قصبة الحمراء وارسل الموحدون الى الخليفة الموحدي في مراكش يستصرخونه النجدة فارسل اليهم عبد المؤمن بن علي جيشا كبيرا بقيادة ابنه وولي عهده السيد ابي يعقوب يوسف فهزم ابن مردنيش في موقعة السبيكة عام ١١٦٢ . ولكن المعركة الفاصلة التي هدت ابن مردنيش فقد كانت موقعة فحص الجلاب وذلك عام ١١٦٤ فقد ارسل اليه الموحدون احسن قوادهم ومن بينهم السيدان ابو حفص وابو سعيد ابنا الخليفة عبد المؤمن على رأس اثني عشر الف مقاتل فارتد الى مدينة مرسية وامتنع فيها الى ان مات عام ١١٧٢ وهو في الثامنة والاربعين من عمره بعد ان « انتهى به اليأس الى نوع من الذهول والخبل » .

ونقف هنا لنتساءل هل كان ابن مردنيش كما تصوره لنا كتب التاريخ الموحدية مجرد ثائر على الموحدين انصار دينه يفتقر الى الصفات النبيلة الضرورية للامراء والحكام . ام كان صاحب رسالة مثالية هي رسالة القومية المرتكزة على العروبة والاسلام فيكون بذلك سابقا لعصره بمئات السنين .

ان ذكرى ابن مردنيش تستحق منا التقدير والاعجاب فهو كما وصفه ابن صاحب الصلاة « كانت له فروسية وشجاعة وشهامة ورياسة » مع ان ابن صاحب الصلاة هذا هو المؤرخ الرسمي للموحدين اعداء ابن مردنيش .

ومهما كان الحال فان الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان يقدر صفات ابن مردنيش فقد قام عند وفاة الاخير وانتهاء ثورته بتزوج ابنته « زائدة » وكانت شقراء زرقاء العينين رائعة الجمال وحظيت لديه حتى كان الناس على قول ابن الخطيب يضربون المثل بحب الخليفة للزرقاء المردنيشية . وتزوج اختها صفية فيما بعد ولده وولي عهده الامير ابو يوسف يعقوب واغدق الخليفة عطفه على آل مردنيش واستبقى لهم سلطانهم في شرق الاندلس .

لندن **فؤاد جبور حداد**

رقم

تفرورق العين اما شاهدت (رقما)
قد كان يوما الى (الاحباب) يهديها
هيهات تحظى بمرآهم وقد بعدوا
فما لها ، الان ، غير الشوق يضنيها
يا حادي العمر ، قد طال المسير بنا
ألا ترفق بالبؤسى .. فتنهيها ؟!

حلب **علي الناصر**

التربية والفولكلور العراقي

بقلم حسين علي الداقوقي

* * *

العراق زاخر بتراث شعبي اصيل تولد خلال الماضي الحافل بمختلف الحضارات .

ان التنوع في التراث الشعبي العراقي هو من ابرز خصائصه ينعكس فيه تنوع حضارات العراق خلال فترات التأريخ وتنعكس فيه آثار المناخ والتضاريس الطبيعية كالجبال والاودية ، والحزون والسهول والانهار والاهوار وما اقامته ايدي الانسان العراقي كالحواضر والارياف والطرق والقلاع الخ ..

واسلافنا على قلة الامكانيات والصعوبات السائدة في عهدهم لم يتوانوا عن تدوين هذا التراث بداعي الحرص عليه او بطلب العلم او غيره وصنفوا مؤلفات عنه ، على عسرة نوال الموضوع في تلك العصور . ولما زاد الاهتمام بشؤون الفولكلور مؤخرا في العالم كافة بادر رجال الفكر العراقي في اواخر القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين للعناية بتراث بلادهم . وكان للعلامة محمود شكري الآلوسي والسيد كاظم الدجيلي والاب انستاس الكرملي « وعبد المولى الطريحي » (١) وعبد اللطيف ثنيان القدح المعلى في هذا الشأن . ثم توسعت الرغبة في الخمسينات وما بعدها من هذا القرن للعمل على جمع الفولكلور وتصنيفه ووصفه وتوضيحه مع التنويه بأهميته . غير ان هذه الجهودالفردية بالرغم من ضخامتها لا تزال قاصرة عنتلبية مقتضياتالعصر وتحقيقاحتياجات البلد مما يستلزم تخطيطا وتوجيها ، ودراسة منهجية من جانب الاجهزة الحكومية المختصة ، تحقيقا للاغراض العلمية والوطنية على حد سواء .

ان العلاقة بين التربية وبين الفولكلور او التراث الشعبي موضوع جدير بالبحث والدرس ، فالتربية الشعبية قائمة قبل كل شيء على الثقافة الشعبية والاخيرة سجل حافل بأفكار الناس وخبراتهم وما جاشت به صدورهم وهفت اليه نفوسهم . منها خفقات تتردد على الالسنة والشفاه لا تستقر ولا تخمد ما دامت حياة الانسان ومنها خبرات ومعارف تسهم في بناء الكيان المادي من الحياة بجانب الكيان الادبي .

الفولكلور ثروة تعتمدها الحياة الاجتماعية وتتضمن قدرا ضخما من المعارف يتوارثها المجتمع جيلا بعد جيل تضم هذه الثروة كل ما يتعلق بالشعب من الامور العديدة والاصيلة وتحوي طرائف معيشة الشعب والذوق الفني والنظرة العالمية والمفاهيم الدينية واسلوب التفكير والعقيدة وجميع الاعراف والعادات المتعلقة بهذه النواحي .

التربية التقليدية

التربية التقليدية الشائعة ليست قائمة على اساس علمي انما هي موجودة على شكل تراث حي ، وهي عقيدة ومحاولات تحيا ، وتتسرب الينا وتربطنابالمجموع وتنقل الينا تراث البيئة التي نعيش فيها والعهد الذي ننتمي اليه . اما تعليم التراث بسعته وعمقه وتزويد الطلبة بألوان العناصر المكونة لهذه الثروة فانه وظيفة تربية ، تقوم على اساس العلم وقواعده .

ومن النواحي المهمة الخلقية بالعناية والاهتمام ، تقويم آثارنا الفولكلورية لتكون معينا عذبا لا ينضب ، يغترف منه القائمون بتربية الجيل موادهم باستمرار لتحقيق امانيهم التربوية وللوصول الى اهداف التربية الوطنية بكل ابعادها .

يتسم هذا المعين الشعبي بأنه عميق الاغوار يمتد مداه الى عهد الاساطير وسيطرة الخرافات ، وتضم سعته انواع المعارف الشعبية ، وتتشكل مقوماته المادية والمعنوية من :

١ ــ التأريخ الادبي والفني
٢ ــ تأريخ علم الاجتماع .
٣ ــ التكنولوجي والاثنوغرافيا والمستلزمات الفنية التي تكون العمود الفقري للثقافة الشعبية ، وتوضح النظرة الى الحياة وطرائف فهمها .

الجانب الادبي والاجتماعي من الفولكلور

آداب الفولكلور بمجموعها اصيلة تنبض بالحياة وتوائمها وهي متمثلة في انماط شتى . منها :

١ ــ القصص والاساطير القومية والحكايات ذوات التكوين الاسطوري .
٢ ــ الامثال والمأثورات والالغاز والنوادر .
٣ ــ الحكايات الشعبية .
٤ ــ الاغاني .
٥ ــ العادات والتقاليد .

تتفاعل هذه العناصر فيما بينها وتتغير وتتوسع وتنتقل من حال الى حال وتتمخض عنها شخصية شعبية . ولذا ان النتاج الفولكلوري ليس شيئا فرديا انما هو شخصيةجمعية ، فهو ليس بآثار ومخلفات فنانين معينين انما هو متولد من قلوب الجماهير ، الامر الذي لا يفسح مجالا لتحديد الزمن الذي تولدت فيه هذه الآثار والتي انتقلت من دور الى دور ومن بقعة الى بقعة دون ان يعرف مؤلفوها الاوائل ، فكانت الحالة هذه محصولا شعبيا لا يدرك اوله ولا تتحدد نهايته .

(١) نقلا عن الصديق الفاضل الاستاذ عبد الحميد العلوجي

الاساطير والقصص

تعرضت القلوب والافكار الى رجات قوية والى هزات عنيفة والتهبت المشاعر فتولدت من جرائهـا هـذه القصص . ان الاساطير والقصص آثار ذهنية لها قيمتها واهميتها وهي حصيلات شعبية انسابت الى اللسان والوتر وصورت طراز الحياة والوان المعتقدات والمثل العليا لما قبل الاف السنين . فيتعين علينا والحالة هذه ، ان ننقل هذه المعارف الى الطلبة ونعلمهم اساطيرنا واقاصيصنا قبل ان نعلمهم اساطير غيرنا من الامم وكذلك يستلزم :

١ ـ الوقوف على الاداب القديمة والاقاصيص الاصلية في وادي الرافدين ونصوصها الاصلية وجعلها قريبة من نفوس التلاميذ ومحببة اليهم .

٢ ـ ان نتبين القصص الاصيلة التي تكسب النفوس عمقا وسعة ونعمل على تثبيتها في الكتب المدرسية .

الحكايات الشعبية

وثمة ما يدعى بالحكايات الشعبية وهي كثيرة ومن محاصيل شعبية تعكس السجايا والخلق والحياة الاسرية والجمعية والعادات الشعبية وغيرها مما يجدر وجودها في كتب الدراسة الابتدائية والمتوسطة .

ولدينا ما يعرف بـ « السوالف » وهي الاخرى محصول لغوي شعبي ينبع من قلوب الشعب . وهي تختلف عن القصص الشعبية التي تستند الى طائفة من الحقائق ، والقصص الشعبية في هذه الحالة تختلف عن « السوالف » التي تعني بالخوارق من الاحداث قبل كل شيء وتدع وراءها الحقائق .

ومما يستلفت النظر ان « السوالف » ليست نتاج التصورات الخيالية البحتة ، انما تتجلى فيها بواعث متنوعة ، وتتراءى فيها بعض الحقائق الاجتماعية مضافة الى نطاق النشاط البشري وما هفت اليه نفس الانسان من التجوال في عالم النفوس .

وعملا بهذه القناعة اتجهت الامم الى تربية الناشئة بالقصص والسوالف الاصيلة وتزويدهم بالقدرة على معرفة الانسان ، وقد ارادت بهذه الطريقة ان تسهل عليهم امورا كثيرة صعبة او مستغلقة اما نحن فلم نستفد من هذا التراث في مجال التربية والتعليم كما ينبغي ولا يوجد في كتب القراءة المدرسية شواهد كافية على ما اسلفنا ، الامر الذي يستلزم مبادرة الجهات المسؤولة في وزارتي التربية والثقافة والارشاد بـ :

١ ـ جمع السوالف والقصص النادرة والشائعة ودرس البديعة والجيدة منهـا وتنقيتها من الشوائب والاوضار .

٢ ـ ادخال نماذج جيدة منها والمنتقاة في بعض الكتب المدرسية .

٣ ـ تشجيع الباحثين الفولكلوريين ليضعوا دراسة علمية عنهـا .

الوان اخرى من الفولكلور

هناك الحكم الشعبية المتسعة بالاقناع الهادف وهناك ايضا اللطائف والنوادر والنكات والامثال الشعبية. ان الامثال الشعبية ابرز هذه الالوان وهي اقوال تحمل معاني عميقة واماني عذبة وهي في الوقت نفسه افكار الشعب في الحياة ونظراته اليها ، كما انها تحوي مفاهيم الاجداد حول طرائق العيش والعالم ، واقوال كأنها تنبثق من تلقاء نفسها متصفة بفن حقيقي لا زيف فيه وكأن الواحد منها مجلد في جملة واحدة .

ان للامثال اهمية تربوية تفوق اهميتها الفنية ، فهي مستخلصة من الاحداث الحية وعلى هذا الاساس اكتسبت صفة اليقين واتخذت خصائص دستور فلسفي للشعب يسير الفرد منه وفق احكامه ويعمل على اساس بنوده وها هنا تثوى القيمة التربوية للامثال .

تعرضت الامثال خلال العصور الى تغيير وتبديل فبقي بعضها حيا ولف بعضها النسيان ، فيها الغث وفيها السمين ، فيها الرفيع وفيها الرديء ، فيها ما لا يفارق الالسن ، وفيها ما يجل عن ذكرها الاديب .

وعليه ينبغي تقدير الامثال وغربلتها وانتخاب الجيد من الكل وادخال ما يناسب منها في المدارس لا سيما ما يتعلق منها بالنواحي الاجتماعية وما يتناسب والمفاهيم الخلقية الرفيعة وحبذا لو وضعت هذه الامثال المنتخبة على هيئة « كتاب الجيب المصور » هذا فضلا عن نشرها مبثوثة في كتب القراءة الابتدائية والمتوسطة بمراعاة اعمار التلاميذ ومدارك الاطفال .

تعتبر الاغاني لونا من الوان التراث الشعبي ، والاغاني الشعبية الفاظ عجنت بأنغام ، فهي شعر شعبي وموسيقى شعبية وقد حان الوقت الذي يتعين فيه ان نستفيد من هذه الاغاني على ان تتولى لجنة فنية دراستها وانتخاب ما لها قيمة فنية وتربوية ثم تيسيرها في المجال المدرسي على ان تعطى لها المكانة اللائقة في دروس الموسيقى وفي النشاط اللاصفي .

كذلك يبقى الالتفات الى انواع اخرى من هذا التراث الشعبي الادبية منها او المادية لتحقيق الاغراض

افدنا في اعداد المقالة من :

Eflatun Cem Güney : Folklor ve Egitim 1966

٢ ـ اسحق رمزي : المدرسة والبيئة

٣ ـ مادة الفولكلور في الموسوعة البريطانية .

٤ ـ مقالة للدكتور حسين مؤنس في مجلة « المجلة » المصرية نوفمبر ٦٨

٥ ـ ابو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر .

٦ ـ احمد وصفي زكريا : جولة اثرية في بعض البلاد الشامية دمشق ١٩٣٤ .

٧ ـ فهرست مكتبة الاب انستاس الكرملي في المتحف العراقي .

الى اناهيد

اناهيد ، يا هنيمات الجمال
ويا غفوة الطل في البرعم
ويا رفرفات الفؤاد الجريح
ويا واحة في جديب ظمي
أطلي على عالمي الشاعري
ولا تسمعي قولة اللوم
لأنت مدى العمر ترنيمتي
وتسبيحة الخافق المغرم

بغداد عبد الخالق فريد

التربوية والتعليمية في الوقت الحاضر .

اساليب اخرى للافادة من الفولكلور

مجال الافادة من الفولكلور للاغراض التربوية والتعليمية واسع سعة الفولكلور نفسه ، غير اننا نذكر فيما يلي انشطة ووسائل تعليمية محدودة كأشارة او بداية للاهتمام بهذا الشأن .

١ ـ النشاط اللاصفي ميدان مهم للافادة من الفولكلور حيث يجري تمثيل مسرحيات مستخلصة من قصص وحكايات عراقية سواء اكانت من الحواضر ام البوادي والجبال .

٢ ـ تصوير العادات والتقاليد والصناعات الشعبية العراقية بأنواعها في افلام سينمائية وثائقية او في شرائح الفانوس السحري وتوزيعها على مديريات التربية في الالوية ليقف الطفل على الحياة العراقية الواقعية مثله كمثل الفرد الراشد الذي ينبغي ان يعلم ما في حيازته .

٣ ـ تؤكد جميع النظم والمذاهب التربوية في العالم على ضرورة الربط بين المنهج وبين البيئة وهذا يستلزم أن يكون المعلم ملما الماما كافيا بتراث المنطقة التي يدرس ابناءها .

٤ محاولة الوقوف على المعلومات والخبرات الشائعة في منطقة المدرسة والمتعلقة بالمادة التي يريد المعلم تدريسها ليقوم الدرس على معرفة من احوال المنطقة وظروف الحياة فيها وما ينطبق على الدروس الادبية يسري على العلوم ايضا .

٥ ـ ان يضم المتحف المدرسي عينات جيدة او نماذج مصغرة من الصناعات والادوات واللوازم المحلية الرئيسية لا سيما ان بعضها في طريقه الى الاندثار .

٦ ـ المحافظة على التراث القائم قدر الامكان بواسطة المدارس والمؤسسات التربوية الاخرى .

٧ ـ الافادة من المناسبات المدينية والاعياد والمثل العليا السائدة في غرس الصفات العالية في نفوس الناشئة .

٨ ـ احصاء نقاط الضعف والعادات السيئة وتحديدها والعمل على مكافحتها بمختلف الوسائل التربوية الممكنة .

٩ ـ ان يكون الفولكلور مرتكزا مهما للتربية الاساسية ولمحو الامية الوظيفي .

١٠ ـ تدريس الفولكلور وبحثه على المستوى الجامعي ونشر النتائج التي تتوصل اليها الجهات المعينة في الجامعة .

المسح الفولكلوري

واخيرا نتمنى ان تتعهد وزارة الثقافة والاعلام بتأسيس مكتبة وتوثيق او ارشيف فولكلوري عراقي يجمع كل ما يمكن حفظه وعرضه من التراث الشعبي ليكون بذلك متحفا عراقيا اخر يلقي ضوءا جديدا على تاريخ حضارة الانسان .

ان تحقيق هذه الاغراض التربوية وغيرها من الاغراض تحتم ان نعلم فولكلورنا على الوجه العلمي الدقيق .. نقول هذا لانه لم يدرس هذا التراث حتى الان دراسة منهجية شاملة . وبالرغم من الجهود العلمية المخلصة المبذولة من جانب عدد من الفضلاء في الاعوام الاخيرة لم تجمع شتات الفولكلور كاملة بأيدي فنية جادة موجهة .

لقد سبقتنا دول متقدمة كثيرة في هذا الشأن اذ استطاعت ان تتبين ما لدى شعوبها من المعارف والادب الحلو وتمكنت من تشخيص نواحي الضعف والقوة في مجتمعاتها وبلغت العناية بهذا التراث الشعبي لدى هذه الدول الى حد ان بعضها نظمت خرائط فولكلورية بواسطة المعنيين من الباحثين والمعلمين القائمين بمحو الامية الوظيفي ، واعدت استبيانات جمعت بها المعلومات فتوفرت لديها خرائط للجوانب الادبية والمادية ، فضلا عن جمعها آثارها الكلاسيكية الشعبية وترتيب ما لديها من الآثار الاخرى ، كذلك عمدت هذه الدول الى وضع كتب التوعية والى تأليف غيرها شعبية مبسطة مرتبطة بأحتياجات البلد ، فكانت التربية عندها باستمرار نشاطا استثماريا وفعالية لها مردودها وعائدها في نطاق التنمية الشاملة .

وختاما نود ان نوضح بأننا لم نستوف هذا البحث المتعدد الجوانب استيفاءا مرضيا ، انما وددنا ان ننوه بأهمية الموضوع وخطره في شؤون التربية والتنمية . آملين ان يستأثر باهتمام ذوي العلاقة وارباب الاختصاص .

بغداد حسين علي الداقوقي

غـدائر النـخيل

•

الى ابراهيم العنقري رفيق اعـذب ايـام الصبـا

نـاصر بو حيمـد

•

الريــاض

اعشــــق
هــذه المدينــة
كواحد بحــار
اتعبــه الدوار
ومزقت سفينه
الريــح والاشواق
والاســفار
وأبصر الشواطىء الامينه
أعشــق
هــذه المدينــة

اود ان اغــرز
في ترابها الوسنان
الجفن والاســنان
وأن اغنــي
الصيد من رجالها
وصولة الفرســان
وان اشــد
الوتــر الولهــان
لهذه المدينــة

أواه يا غدائر النخيل
يا الف خصر ضامر نحيل
احلم بالمستحيل
صدر البخيــل
كنز بلا سندبــاد
يــا سندبــاد
وبح صوت العــود
والعــواد
واستسلم العائد
للشميم
وهــب صــوت
رخيــم



يوسف عبد المسيح ثروة

عالمان متجاذبان

« ٤ نساء و ٣ ضفادع »

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

ليس لي ان اعرف الاستاذ عبد الحق فاضل للقراء الكرام ، فذلك مني فضول ، والاستاذ قاص ودارس ولغوي معروف ، ويكفي ـ في هذا الشأن ـ ان نقول انه مؤلف « مجنونان » ١٩٣٩ و « مزاح وما اشبه » و « ثورة الخيام » وغيرها من الكتب الدسمة الفنية عن التعريف . ولكن الشيء الذي انا بصدده هو المسرح . وها ان الاستاذ فاضل يتحفنا ـ وفي هذا الحقل ايضا بمسرحيته « ٤ نساء و ٣ ضفادع » فاذا به يحلق كالصقر في اجواء هذا الحقل ، متمكنا من اداته ، مسيطرا على موضوعه ، قابضا لناصية فنه ، في أصالة وجرأة وحسن اقتدار تتبدى جميعا في قسمات المسرحية ، ومضامينها ، في وحدتها وحيويتها وانسجامها .. والظاهرة البارزة في المسرحية لاول وهلة هو جفاف موضوعها ، الذي يمكن ايجازه بالمقارنة بين عالمين : عالم اليوم ، عالم القرن العشرين وعالم القرن الثلاثين . ومن هنا ، فالموضوع يشبه كثيرا القصص (العلمية) التي اشتهر بها جول فيرن و هـ. ج. ويلز .

الا ان هذا الجفاف سرعان ما يتبخر بلمسة قلم الاديب ذات السحر والرمز والرقة ، فاذا بالجاذبية الفنية تتغلغل بأسرع من لمح البصر في ثنايا المسرحية لتشد انتباهنا اليها شدا لينا لطيفا ، يأخذ بأيدينا في دروب الالام ، دروب هذا العالم، ليشبعنا منها تقززا وتبرما واشمئزازا حتى تستعد نفوسنا لمفارقتها غير آسفين ولا جزعين الى عالم اخر هو عالم القرن الثلاثين ونحن بين العالمين في ذهاب واياب متباطئين او مسرعين ، متخاذلين او هابين مع الريح ، سلاحنا العلم بكل قواه الميكانيكية والالكترونية ، الذرية والاشعاعية ، والكيميائية والفيزيائية . الاسلحة المرعبة المجنونة كلها في أيدينا ، ونحن لا نعرف ماذا نفعل بها ، قبل ان تعرف هي ماذا تفعل بنا . والعالمان مجنونان يتصارعان في حلبة الزمن والمكان ، من غير ان يعترفا بذرة من جنون او مس منه . لان كل عالم يعتقد براسخ الايمان وصادق العقيدة ، ووثيق اليقين انه العقل برمته ومصداق ذلك العديد العديد من الادلة الدامغة والحجج الثابتة . هاك مثلا على ما نقول عالمنا العاقل : ألم يدمر مدينتين كاملتين عن بكرة ابيها في ليلتين فقط ؟ ألم يقض على خمسين مليونا من البشر في حرب واحدة وبأيدي شعب من أرقى الشعوب ثقافة وتقدما وعلما ؟ ألم يشرد شعبا بأسره من أرضه بدعوى تشريد (شعب) آخر واسكان ذلك (الشعب) في وطنه قسرا ؟ وألم يمكن هذه أن تكون حلقة في سلسلة طويلة من الاستفهامات . بيد ان الاكتفاء بها يشير الى هذه السلسلة ويلوح بها وهذا كاف واف بقصدنا في التنبيه والاثارة .

وعالمنا هذا الذي وصفه الاستاذ فاضل ، واجاد في وصفه ، فيه تجريد مقصود لذاته ، لان المشاكل التي عالجها ، قد تبلورت بمرور الزمن ، حتى فقدت ماهيتها العيانية لتصبح رموزا ومعالم طريق لعالم مضى أو ان كينونته ، ولم يعد وجوده بالفعل الا دلالة خاوية من المعنى ـ على حسب رأي كثير من المسرحيين ولا سيما منهم على وجه الخصوص ديرنمات الذي يتفق في هذا الشأن مع منطلقات الاستاذ فاضل كل الاتفاق . وهذا ما نجده في معظم مسرحياته من « علماء الطبيعة » مرورا بـ « هبط الملاك في بابل » الى « الشهاب » ولو رحنا نقارن بين هذين المنطلقين ومعظم منطلقات مسرحيات القرن العشرين لوجدنا اتفاقا ، لا في الشكل ، فهو يختلف بين كاتب واخر ، ولكن في المضمون العام الذي يمكن حصره بغير مبالغة في كلمات معينة هي : الخواء ، والضياع ، والتلاشي ، والتهافت ، والافلاس والجدب . سمات بارزة يمكن تلمسها من غير كبير عناية في معظم المسرحيات الغربية الحديثة ومرد هذه السمات هو تخلخل المجتمع الغربي ، على ساحلي الاطلسي ، لانتفاء مقومات الوجود الاجتماعي ، الطبيعي بعد حربين طاحنتين ، بسبب أزمتين اقتصاديتين هزتا العالم الغربي هزا ، قصم ظهره في جانبه الشرقي ـ في الحرب الاولى ، وزعزع اركانه في الحرب الثانية ، لولا يد العم سام الذي جاء عبر المحيط لينقذ ما يمكن انقاذه من أنقاض عالم متداع ، يسير الانهيار اليه سيرا حثيثا ، بعد ان أستنفد قواه الحيوية ، في تناقض مميت مع نفسه ...

وهذا التناقض هو الذي يضع عالمنا في مقابل نفسه ، فلا هو حقيقة واقعة لانه صيرورة مستمرة ، ولا هو وهم خيالي ، حلم من الاحلام ، لان الواقع العملي الذي ينبثق منه هذا الخيال ، تثبته حقيقتا الزمان والمكان ، في عيانية ملموسة احساسا مدركة عقلا . ومن ثم كان اختلاط الحلم بالواقع امرا محيرا بالقياس الى فريد (١) (عالم الاحيائيات) لانه لا يجد مبررا لأي من الحلم او الواقع . واذا كان فريد قد انتقل الى عالم العجائب انتقالة كبرى يبلغ مداها الف عام ، فان من حقه ان يبحث عن ذاته ليتلمس وجوده وليتاكد من واقعية هذا الوجود وسيطرة ذهنه على نفسه ، وتماسك شخصيته ، وهو يرى بشرا من نوع اخر ، يخجل بشر هذه الارض تواضعهم ، فهم ليسوا ارقى من جن عالمنا انفسهم الذين استغفلهم الناس ، الى حد السخرية والازدراء بهم ..

ولكن الارض المباركة والسلام الوطيد الذي يجده على هذه الارض، بالمقارنة الى ارض الدمار التي نقطنها تجعل فريد يحسب نفسه واهما او حالما على احسن الاعتبارات ، لا يريد من هذا الحلم الا ان يدوم اطول مدة مطلوبة ، ففي التعرف بذوات الجن شرف يليق بهذه الرؤيا العظيمة المباركة والا كيف يمكن ان يحدث الذي حدث . الف سنة شبع فيها فريد من الموت حتى اتخم ، تتكمش بهذه السرعة العجيبة

(١) بطل مسرحية « ٣ ضفادع و ٤ نساء » .

لتصبح لحظة سعيدة تتبدى له فيها الابدية حقيقة جارفة لكل حقائق الحياة الارضية الموغلة في وحول الدنس وادغال الغش . لاول مرة يرى فريد حلما تلتمع فيه جوانب قوس قزح ، لتختلط بسماء صافية ، تنتشر فيها ابخرة الكافور والنردين . فالوهم هو الشيء الحقيقي الوحيد الذي لا بد ان يتشبث به لانه لا بديل عنه وقد تجسد هذا الوهم تجسدا حقيقيا في عالم غير عالمنا غير الحقيقي .. ومن ثم فمن حق فريد ان يخشى كل تلك الخشية من زوال هذا الوهم لانه ان زال من مخيلته اضطر اضطراراً الى العودة من حيث أتى الى عالم ضفادعه التي احبها كل ذلك الحب ، من اجل توسيع مداركه التجريبية . والغريب في الموضوع ، ان هذه الضفادع سافرت مع فريد الى عالمه الجديد الفريد ، ليكون هو الى جانبها كما كان في عالمه المفقود غير المأسوف عليه ، فهذه هي مشيئة الاقدار التي لا تتلاعب بمصائر الناس فقط بل بمصائر الضفادع ايضا ، هذه الضفادع التي يعطيها فريد شيئا كثيرا من اهتمامه الى حد يحمله الى القول : « ... كم من الاجيال والمدنيات قامت ونامت تحت الشمس وضفادعي نائمة في الظلال » . في حواره مع الاستاذ بيكيكي ، الاستاذ العراف الذي لا يجاري في الاضطلاع على اسرار ما هو كائن وما سيكون . وحين يأخذ الحلم بالاقتراب الى الجد بعض الشيء كان يعلن بيكيكي رأيه في قضية أتصال فريد بعالمه الذي فارقه واستحسانه لتوجيه كلمة الى هذا العالم قبل الاتصال به يستشيط غيظ فريد من هذا الجد المنحوس ويقول : « ان لم تكفوا عن الجديات قضيت عليكم جميعا في لحظة واحدة . ما علي الا ان اركل لحافي او انقلب على الجنب الاخر فاذا انتم عدم » .

هذا صحيح وممكن ولكنه ليس من صالحه ، على أي حال ، والا ضاعت منه هذه المتعة الفريدة ، هذا الخيال الرحيب ، الذي دونه كل خيالات السندباد في كل سفراته ولو زاد عليها سفرة اخرى . ولكن قد تكون سفرته الثامنة مجدية ، لانها قد تحطه كما حطت فريد في بلاد الخناث تلك البلاد الجميلة التي لم يجد لها السندباد مثيلا حتى في احلامه . وكيف لا تكون هذه البلاد جميلة ، وقد حلت فيها اعظم المعضلات واصعبها حلا : اعني معضلة تقسيم البشر الى اناث وذكور ، وهو اول تقسيم اعتسافي تمييزي جعل الحق مع القوة والباطل مع الضعف وبذا ضاع الحق من وجه الارض ليكون وهما ، غمامة يتخيلها الفلاسفة والحكماء مفعمة بوفير الخير والبركة ومدرار الغيث .. بينما هي سحابة صيف ، تفش الراعي وماشيته والارض الجدباء بخبث وتمضي سريعا في سبيلها مخلفة لوعة حرى في النفوس جميعا . الا ان هذا الخيال البديع الذي يغلف وجود فريد بغلالة شفافة ، لا يلبث ان ينحسر عن نفسه ، لان شيئا فظيعا يضايقه اشد ما تكون المضايقة ، وما ذلك الشيء الا احساسه بكيانه الذي يشعره باليقظة . الخيال خيال غريب لا يكاد يكون اغرب من الحقيقة نفسها » فهل يصدق احساسه أم عينه ؟ .

بيكيكي يرى ان يصدق احساسه ، ويطلب منه بصفته عالما الرجوع الى حقل التجربة لاثبات ما يعتقد بصحته نظريا . فريد لا يرى في ذلك ضيرا لانه صحيح كل الصحة ولكن في عالم اليقظة . اما والحال هي ما هي عليه الان فالامر يختلف اشد الاختلاف عن حال اليقظة لان فريد يؤثر اهتبال فرصة الحلم ، الفرصة الذهبية هذه ، ليفلت ولو قليلا من اغلال العقل والجديات بالاكثار من المرح والمجون والمفارقات وخلق الاجواء الطلقة الجديدة ، التي تتسع لكل تسامح وحرية وانطلاق، تعويضا عما فاته من كبت وارهاق وتضييق وهي تلك الاغلال التي يعبر عنها فريد بقوله ، « .. انا في حياتي كثير التعقد والتحرز ، لكنني احب الانطلاق والهرب من نفسي » . ولذلك فانه ـ في عالمه الجديد ـ يجد نفسه حرا طليقا ، كله احساس بالنشاط والحيوية والبهجة ، ذلك ان « الحلم هو الحالة الوحيدة اللامحدودة واللامقيدة في حياته »

ومعنى ذلك ان الحلم هو التجسيد الوحيد للحرية واليقظة هي الكابوس المخيف الذي يجثم بكل ثقله على عالمنا فنجد كل ما فيه نفاقا لا يعبر عن الحقيقة الا كما يعبر النفاق عن واقع الحال . ولما كان النفاق هو ضرب من الرياء ، والرياء تزييف مبطن للحقيقة فالزيف تبعا لذلك كله لا بد ان يكون السمة البارزة في جبين مجتمعنا . والى هذا الزيف يشير بيكيكي بقوله : « تتكلمون احيانا لاخفاء افكاركم بدل اظهارها » .

وتوكيدا لهذا الزيف يتساءل فريد بمرارة قاسية : « ما الفائدة من الكلام اذا كان الانسان لا يستطيع ان يتصرف فيه ؟ » ولا يخلص الادب نفسه من قناع الرياء الصفيق ولهذا السبب يغمز كيكي قناته بقوله : « يقصد بالادب كتمان الحقائق او تحريفها اذا كان الاخرون يكرهونها » . ولكن الادب هنا لم يكن كله رياءا والا انتفت فيه صفة الصدق التي نجدها هنا وهناك مزدهرة زاهرة في جنائن الادب وخمائله وغيطانه . واذا كنا نعلم من شواهد التأريخ ووقائع الايام ، ان الحب كان احد المصادر الرئيسية التي ترفد الادب بمعينه الدفاق ، فلا جرم ان لا تفوت فريد فرصة التحدث عنه ، وقد وجد في العالم الثاني برودا عجيبا حياله ، ولذلك فهو يقول مخاطبا فرفور الفيلسوف الصغير : « ان هذا الامر (يعني الحب) الذي تسمونه حيوانيا .. كان مدار حياتنا ، كان جذوة الانسانية والتسامي فينا » . وحين يشتد انشداه فرفور من هذا الامر يستطرد فريد في قوله : « ... هذا الشيء الحيواني العجيب في نظركم كان قطب عالمنا .. مبعث أغانينا وفنوننا وآدابنا وفلسفاتنا .. » .

وعند هذا الحد يتحول مفهوم الحب من صفته السامية الى صفته الحيوانية المحض ، فيكون داعية الى المشاكل والجرائم احيانا وحتى الى الحرب ايضا .. فرصة ثمينة يقتنصها (الطفل) احد الذين يتحدثون من هيروشيما بقوله : « لماذا كنتم تتحاربون ؟ اسمي جيجان . عمري خمس سنوات . » وسؤال جيجان هذا ، كان له وجود ووجوب منذ كانت الانسانية ، ولكنه ظل فاغر الفم ، يتثاءب بعناد واصرار ، من غير ان يجد من الناس من يجيب عنه ـ طوال هذه العصور البلهاء ـ الا قلة تعد على اصابع اليد حرقوا أنفسهم حين حاولوا الاجابة وكانوا جادين فيها . ولذلك فان فريد لم يكن الرائد في اكتشاف هذه الاجابة حين أجاب عن استفسار فرفور : « هل كنتم تتحاربون لتحسين الاقتصاد في العالم . » بقوله : « ما هكذا يوضع السؤال . بعض البشر كانوا يريدون غصب ما يملك الاخرون . » وعندما تساءل فرفور : « هل كانوا محتاجين هكذا الى ما عند الاخرين ؟ » اجاب فريد : « الحقيقة ان اغناهم اكثرهم رغبة في الغصب .. وكلما زادوا غنى زادوا خطرا ». وبذلك يكون فريد قد وكد المقولة الاقتصادية الحكيمة توكيدا خاصا ، المقولة التي تذهب الى : ان الاغنياء كلما ازدادوا غنى ، ازداد الفقراء فقرا .. ومن ثم ازداد خطرهم لا في بلدهم فقط ، وقد امتصوا عصيره حتى القشر ، بل في بلدان غيرهم ايضا ، وهذا سبب رئيسي من اسباب الحروب .

ولكن دهاقنة السياسة وارباب التربية ، يغطون هذا السبب الرئيسي بألف سبب مفتعل وسبب . فكل « دولة تلقن سكانها من طفولتهم انهم افضل اهل الارض طرا ، وتحرضهم على كره الشعوب الاخرى » . وهذا هو اساس التمايز العنصري ، آفة عصرنا الشريرة التي غذاها رينان وغوبينو وروزنبرغ بكل مقوماتها الفكرية المتهافتة ، في البر الاوربي، كما فعل ذلك تشمبرلن الكبير في بريطانيا ، لتكون خميرة كل ذلك ما وجدناه من عفن النازية وخبيث اثارها ، في معظم انحاء العالم . وقد استند كل هؤلاء الى قاعدة علمية طبيعية بلورها دارون ومفادها : « تنازع البقاء والبقاء للاصلح » وترجمت في الحقل الاقتصادي الداخلي الى « التنافس الحر » وفي الاقتصاد العالمي والسياسة التي هي ذيل لها الى موضوع تنازع الدول على السيادة على العالم واقتسام مناطق النفوذ . وطبيعي الا يقرر كل ذلك الا

الحرب والمزيد من الحرب . واحسن تعريف للتنافس الحر هو التعريف الذي وضعه فريد بحكمة بالغة الدلالة بقوله : « .. كل انسان يحاول ان ينتزع من مجتمعه اكثر ما يستطيع من ماديات ومعنويات .. ويكافح الاخرين ويكافحه الاخرون بسبب ذلك » . ولما كان تنازع البقاء هو الفلسفة الواقعية الوحيدة ، بل « هو ابو الفلسفات .. وقانون الحياة » فلا ضير ان يمتد نطاق هذه الفلسفة من البلد الواحد الى البلدان الاخرى ، وتبعا لذلك يكون العدوان نفسه قانونا للحياة وفلسفة لها ، فتكون الحدود بين اي دولتين تمثيلا صادقا لاخر عدوان فرضته احداهما على جارتها فيصبح بعض الناس من نصيب هذه الدولة تارة ومن نصيب تلك الدولة تارة اخرى . والوطن الواحد نفسه يمكن شطره شطرين و (سرعان ما تتألف لكل منها حكومة مخاصمة للاخرى تحاربها بالسلاح او المؤامرات او الشعارات) .

وكل هذه آراء يبديها كيكي وفريد وابو كيكي بطلاقة وصراحة ويقين وكأنها مستلات من كتاب الحياة ، الكتاب الذي يجمع بين دفتيه كل نقائض المجتمع الواحد ونقائض المجتمعات المختلفة ، في سلسلة طويلة من التناقضات تتنازع اسباب الحياة ، حتى يصبح الانقسام جبلة في الناس على ما يذهب اليه ابو كيكي بقوله ، « الانقسام جبلة فيكم . ان كنتم لونا تخاصمتم شعوبا . ان كنت شعبا تخاصمتم عقائد . ان كنتم عقيدة تخاصمتم آراء ، مصالح ، زعامات . » وابو كيكي لا يكتفي بهذا التطرف من القول ، ولو اكتفى بذلك لهان الامر ، ولكنه يمضي في تطرفه الى حد القول : « عقائدكم عقدكم النفسية » . ومآل ذلك اذا نحن اخذنا رأي ابي كيكي على علاته عدمية صارخة ، وتمرد طوفاني ، وصياغة لمجرى التاريخ على وفق نظريات علم النفس الحديثة، بحيث يصبح الدافع الفردي ، الاناني ، الشره ، الشرس ، هو القانون الاسمى الذي يحرك دولاب المجتمع ..

ولما كنا نعرف ان الدافع الفردي هو دافع حيواني يسيطر عليه المخيخ لا المخ ، فمن حق زوزي ان يخاطب فريد بقوله : « تصرفاتكم يوجهها المخيخ مستودع تراكم الحيواني من العنف والغضب وجهل حقوق الغير عبر ملايين السنين . » ومن ثم فبنسبة سيطرة الغضب او الحقد او الخوف او الشهوة تتلاشى موضوعية التفكير الانساني ، وبمعنى اخر ان المخيخ يلغي دور المخ ، فلا يجد الاخير ، بعد ان تكون الحرب قد قامت ، الا دورا ثانويا ذليلا هو دور التبرير والتفسير ومحاولة الاصلاح . وتعقيبا على هذه الاراء الجريئة التي يبديها سامي ، يعترف فريد بالحقيقة بقوله : « تماما . تماما . وحينما تنتهي الحرب ينظر العقل او المخ .. الى صورته في المرآة .. فتهوله بشاعتها، لكنه لا يجدسوى حلواحد لمعالجةالموقف هو انيبصق علىالمرآة انتقامامنها . » هذه صورةبشعة حقا للعقلالبشري ، ولكنها من صميم الواقع ، ومهما تكن قسماتها خشنة غليظة ؟ وأجواؤها داكنة معتمة ، وايحاءاتها متشائمة سوداء ، وصراحتها صارخة فاضحة ، فهي صورة حقيقية ، وقد احسن الاستاذ فاضل في عرضها ، بهذا الاسلوب الساخر العنيف ، ليكون تأثيرها بمثل هذا المستوى من العنف ، هذا العنف الذي يتبدى عاريا صارما في قول فريد وهو يتحدث الى كيكي : « ... لقد كان سلمنا المخيخي يتجلى في منظمة الامم المتهارشة ، وهي صورة مصغرة للغاب الدولي » .

ومن الحرب والسلم ينتقل فريد الى موضوع التربية ، بصفتها اساس الكيان الاجتماعي ، فيعرض واقعها كما هو على فرفور . ففي رأيه يولد الطفل على الفطرة ، وهي حالة استعداد واستجابة لكل نوازع الروح العلمية والبحث النزيه ، و « لكننا نتولاه (يعني الطفل) بالصفعات النفسية والعقلية كل يوم . » فريد يقول ذلك ببرود يحمل فرفور على التساؤل : « لماذا ؟ » وجوابا عن ذلك يدلي فريد بدلوه في اصول التربية فيقول : « لكي نهذبه . اعني لكي ينشأ سطحيا .. زائغ البصيرة .. جبان العقل .. ضافق الملاحظة .. مفرضا .. » وما الفرض من كل ذلك ؟ الفرض الجنوني من ذلك هو قتل الجسارة الادبية واعدام الفكر الحر وتفتيت قوة التمييز لكي يكون « همهم (يعني الاطفال) ان يعموا عن الحقائق .. ويفعلوا الادب . » وهكذا « كان البالغون في كل العالم يهيئون اطفال الجيل لينشئوا مجتمعا له جميع النقائص القائمة » . فلماذا هذا ؟ « لماذا ؟ » يتساءل جيجان فيجيبه فريد مرددا السؤال نفسه « لماذا ؟ » ومضيفا اليه : « ها هنا المشكلة . لاننا نعتقد ان الخطا هو الصواب والصواب هو الخطا » .

وحينما تشتد شفقة فرفور على الوضع البشري المزري ، الى حد الاجهاش بالبكاء ، لا يجد فريد بدا من مشاركة فرفور في عاطفته الحارة ومن مصارحته بالحقيقة الكبرى : « .. حتى الحيوانات تتعلم اجتناب الضرر بالتجربة ، لكن هذا الحمار الناطق وحده يكرر بلا ملل أفجع تجاربه التي قاسى منها مرارا » . ولذلك فهو يجد الحياةالجديدة في العالم الثاني فرصة جديدة ، لكي يصبح آدميا من جديد . وما هو هذا العالم الفريد الذي وجد فريد نفسه فيه ؟ انه عالم غريب حقا ، فيه العلم بادواته ومهارته وقياساته وقدرته غير المحدودة سلطان ليس لنفوذه تخوم ، فيه يتحول المستحيل الى ممكن والممكن الى حقيقة واقعة ، فيه تصبح الصيرورة الحركية قاعدة حتمية ، فيه لا تتوقف الاشياء ونظامها بما يعرف بالمكان في حدود المكان ، ولا توالي الظواهر فيما يعرف بالزمان في مسار معين . في عالم الحيوان الاسود بروؤس الحمير وارجل الذئاب ، ورؤوس القردة على جسوم الذئاب ، واحجام الحيوانات كافة تتغير بسرعة عجيبة ، فيمكن في المختبر ان تتقمص البقرة جسم نملة ، وان يتجسد الجمل في جسم فأر ، وان تكون نساء ، بما في هذه الكلمة من انوثة ، من نايلون ومطاط ، بنسب كيمائية معينة ، ذلك ان التجارب المختبرية تعمل الاعاجيب في كل لحظة وحين . والعالم الثاني يتنصل من كل التزاماته السابقة ، ليسبح في بحر الحرية العلمية ، حيث تقسيم المسؤولية على حسب الدرجات العلمية . النساء الالات مستعدات لتلبية كل الطلبات في كل الاوقات .

وسحر النساء الالات ، ما هو تأثيره في فريد ؟ وما هي انطباعاته عنهن ؟ ان هذا السحر يتجلى في (كل حركة تأتيها احداهن) هذه الحركة التي تنصب في شغاف قلبه فتبعث فيه حياة كلها بهجة وانشراح الى حد قول فريد بالذات : « ... حتى خصامهن لي وكيدهن وشيطنتهن ، حتى الغضب .. حتى الهجران يعجبني منهن » . غير ان كل ما يفعلنه لا يتجاوز التجاوب العلمي مع تموجات اشعاعات نفس فريد ، وهذا هو الامر العجيب في الموضوع من الاساس ومن ثم فان فريد لا يرى في العلماء غير ملائكة اغبياء ، فاي معنى في الانسان لو كان نصفه بشر ونصفه آلة ؟ وما فائدة هذه الكيمياء السخيفة التي تحول الارواح الى نفوس ميتة في اجساد آلية تتحكم فيها نزوات ميكانيكية ولهذه الاسباب مجتمعة نرى الغضب يأخذ بتلابيب فريد فيقول : « خرجنا من كابوس الماضي لندخل كابوس المستقبل » وعندما يحدثه العلامة نينوزي عن التغيرات الجذرية التي يمكن ادخالها في الجسم البشري ، يصيبه شيء يشبه الذهول فيقول لصاحبه بعد اقتناعه بحججه العلمية : « تناسخ الاجسام اذن معقول والله . مثل تبديل الملابس .. قد يبلغ بكم التطور يوما ان لا يبقى منكم غير جماجم، لها اجنحة تطير بها في الهواء وتسبح في الماء . » ولو اكتفى نينوزي واصحابه الاعلام بتبديل الجسوم لهان الخطب ، القضية تطورت تطورا مخطرا الى حد مريع ، لم يبق الا ان يغيروا الراس ، وبذلك تفقد الشخصية كل معالمها وسماتها ومميزاتها . فهل ان العلماء الاجلاء فاعلون ذلك ؟ نينوزي يغري فريد بقوة الجسم في (اجمل صورة رجولية ، وسامي يزيد على ذلك بقوله : ستعبدك نساؤك حقيقة لا تجاوبا فقط ») .

اما زوزي فيصارح فريد بالحقيقة من غير اغراء ولا اغواء بقوله : « عظامك الهشة ، اعصابك الواهنة ، بلدك المهترىء ، حجيراتك الرئة

.. كلها يمكن تبديلها بالتدريج ، حتى ذاكرتك الصدئة ونفسيتك المضعضعة . » واذن فالشخصية كلها يمكن ان تتبدل ، او بالحري يمكن القضاء قضاءا مبرما على انسان قديم بكل معاني الخلق من وقائع ودلالات ونتائج . وبذلك سيتحول فريد تحولا جذريا من انسان دنيانا هذه ، الى انسان الدنيا الاخرى بحيث يفقد كل صلة بماضيه . ولكن ما معنى هذا بالقياس الى فعاليات الانسان النفسية ؟ انه يعنى بالدرجة الاولى التقمص في ذات جديدة تلقائية الاستجابة انعكاسية التصرف ، فضلا عن قدرة خاصة ، حاسة سادسة تستطيع ان تقرأ وان تنفذ الى أعماق السرائر بيسر وبغير اعمال فكر فتتعرى النفوس من مواضعات المجتمع ، وتنهار جدران التقاليد ، فتفقد الفضيلة نفسها مقوماتها بل قيمتها الرئيسية ، لانها تصبح تلقائية وعامة مبتذلة ..

وحين يشير فريد الى موضوع الفضيلة وخشيته من فقدان قيمتها لا يرى نينوزي دافعا لنكران هذه الحقيقة ولذلك يقول : « الذي يهمنا الفضيلة لا قيمتها . » « لان كل الخيرات تفقد قيمتها اذا عمت ، الصحة ، الغذاء ، التعليم ، السعادة » . غير ان نينوزي لا يستطرق طريق المنطق هذا عبثا لمجرد الوصول الى نتيجة منطقية ، بعد ان وضع المقدمات وضعا علميا منسقا ، انه لا يقصد ذلك لذاته ، انما يتجلى مقصده في تذكير فريد بحقيقة اقتصادية معترف بها بقوله ، « نحن لا نحتكرها (يعني الخيرات) او نتلف مقدارا كبيرا منها مثل تجاركم لرفع اسعارها » . غير ان فريد لا يلتفت الى هذا القصد ، اما لانه لا يريد الالتفات اليه ، او لانه لا يريد أن يتذكر مآسي الاقتصاد الحر التي كانت تنخر في اسس مجتمع الدنيا ، بينما كان فريدا لاهيا بضفادعه الثلاثة ، في اعالي جبال سويسرا . ومع ذلك ، فان صاحبنا لا بد قد تأثر بأوزار الدنيا ومآسيها وفجائعها والا فكيف يمكن ان يستسيغ وجوده في العالم الثاني ، هذا الوجود الذي يجثم على صدره ليلا وعلى رأسه نهارا ، كالكابوس المخيف الذي يتمنى « ان يكون حقيقة واقعة » لان « مجرد التفكير في اليقظة » يجعل فرائصه ترتعد واوصاله ترتجف وانفاسه تتقطع . غير ان هذه الامنية الاثيرة عند قلب فريد ، لا تزال تتوارد على خاطره بالحاح وتواتر بشكل شك لا هو بالشك المألوف ، لانه يجده واقعيا يحياه ، ولا هو باليقين المعروف ، لان وجوده نفسه قضية مشكوك فيه ، لاحتمال الا يكون هذا الوجود الثاني واقعا ملموسا ، كما كان الامر مع واقع حياته السابقة .

ومن ثم تعذر على الهدهد نفسه ان يجيب عن سؤال فريد : « هل أنا حالم أم يقظان ؟ » . ومع جهل الهدهد للجواب الحاسم ، تراه يتوسط بين فريد ونسائه الاربع ، فيطمئن هذه ويسكت تلك ويؤاسي البيضاء ويماحك السوداء ليكون في طوع بنان فريد ، وفريد لا يرى بدا من مكايدة نسائه رغم كل وساطات هدهده . واذ تزعل احداهن من مكايدة فريد لا يرى مانعا من ان يقول بخفة روح : « لا تذهبي يا ريحانة قلبي . ان هذه الدموع الزائفة هي الشيء الوحيد الطبيعي الذي يجعلك تشبهين النساء الحقيقيات . » اللواتي عرفهن فريد معرفة جيدة باطلاعه على دخائل انفسهن وتمرسه بتجاربه معهن ، في سلسلة طويلة من العذاب والهوان وخيبة الامل .

وبعد ان يضيع فريد في عالم الالات والمختبرات تشمئز نفسه من العالم الاخر لافتقاده البشر الحقيقي في ذلك العالم المقفر ، ولما كان الضياع والاشمئزاز والافتقار سمات بارزة من سمات الوحدة ، فان فريد يتحدث عن هذه الوحدة مع السوداء خلياته الالية بقوله : « لو كنت حقيقية مثلي لعلمت ان اثقل الناس على الانسان هو نفسه . هل تدرين لماذا لا اطيق جحيم الوحدة . لانها تعني معاشرة نفسي » .

وبعد اخذ ورد تحدث المعجزة واذا بفريد يتجسد شابا بمعنى الكلمة من الشباب ، واذا بالشخصين يتبادلان الشخصية تبادلا تاما ، فريد لا يدري من هو ، أهو فريد ام الشاب ؟ لقد تمكن العلماء من ادخال فريد في جسم الشاب ، بعد التخلص من جسمه السابق ، ولكن فريدا لم يجد الشجاعة اللازمة للتخلص من شخصيته السابقة فهو لهذا السبب حائر ولذلك يخاطب الشاب متسائلا بالحاح: « انت انا .. فمن انا » ولما يجيبه صاحبه : « انت .. انا القديم » يلح فريد بالتساؤل : « أنا .. انت القديم » يطمئنه الشاب بقوله : « نعم .. وانا انت الجديد » ..

ولكن غلطة بسيطة ارتكبها سامي في منطقة الازرار في الجهاز اعادت الحياة الى الجسم الميت ، فاذا بفريد والشاب شخصان متقابلان كل له شخصيته الخاصة ، واذا بالتناسخ الذي تم على يد العلامة المحنك والنطاسي البارع ساسي يفلت من يده ليصبح اضحوكة العالم الاخر . ومن ثم اعتور الشاب ضياع فظيع هو ضياع الشخصية ولهذا نراه يشعر شعورا مأسويا بهذا الامر حين يكلم فريد بقوله : « عودتك الى الحياة افسدت على الشعور بأني انا ، او بالاحرى بأني انت . » وعندما يأخذ الشاب بمعاتبة فريد على ما حدث لا يجد الاخير ما يقوله غير كلمة : « خدعوني » وعندئذ يحس الشاب بخيبة امله احساسا عميقا يحمله حملا على القول : « انا ايضا مخدوع مثلك . انت خدعتني . انا خدعت نفسي . الحياة خدعة كبرى » . ومن الخدع اللطيفة التي يلجأ اليها علماء العالم الاخر استدعاء عائدة زوجة فريد ، بعد طول فراق ، فاذا بالشاب وفريد يتنازعان بشدةوعنف على امتلاكها، بصفتها الزوجة الوفية ، ويتدخل نينوزي لفض النزاع ، ويلفظ الشاب بكلمة العدل ، ويقول عند ابعاده عن زوجته المصون : « هذا ليس عدلا » .. غير ان العدل ، وقد طال هموده ، على مدى العصور ، لا يحل مشكلة ولا يوصل حقا الى صاحبه ، فكيف به وهو الضعيف ، المستنفد القوى ، ان يعيد عائدة الى زوجها الشاب ، وهو يتلظى حرقة ، وشوقا ، من ألم ذلك الفراق الطويل ؟

وبتهافت العدل على احسان فريد القوي ، لا يرى الشاب مندوحة من التنازل عن عائدة التي لا تنكر بسالة فريد في الدفاع عنها واحتضان وجودها . عائدة تقر بذلك الامر وتعترف به ولكنها تعزو شجاعة فريد الى الانانية ، وبذلك تصيب كبد الحقيقة بسهم واحد من سهامها الراشة على الرغم من اعترافها بعدم محبتها له ، ان لم نقل تلطفا كرهها له . وكرهها هذا يدفعها الى شيء محبب اثير لديها ، وما هو هذا الشيء ، بالقياس الى المرأة غير الامومة ؟ ولذلك نراها تطالب باستدعاء ابنائها ، وعند هذه المطالبة ، غير المعقولة ، غير المتصورة ، يفلسف لنا فريد حياة البشر ، على مدى التأريخ بقوله : « ملايين البشر كالنحل ظهروا وديسوا تحت الاقدام فانسحقوا وبادوا » . غير ان عائدة لا تقتنع بقول بعلها ، ولو كانت كل الادلة معه ، فشكاستها الماضية لا يمكن ان تفارقها حتى في العالم الاخر ، ولهذا السبب بعينه يلتفت فريد الى سامي وغيره من العلماء طالبا منهم النجدة ليتخلص لا من رذاذ شتائمها حسب بل ربما من خدوش اظافرها وعضات اسنانها . ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الخوف بسبب بسيط هو محاولة توجيه مشاعر عائدة نحو قلب الشاب ، فاذا الامور تنقلب رأسا على عقب ، وينحسر الخوف بدافع الوجود الاناني ، الذي يتعرض له بيكي تبكي بكلمات كلها حكمة واصالة ونفاذ : « ليست مصيبتكم الجهل » بل « الانانية » فهي « الحقيقة المقدسة » الوحيدة ، التي نجدها في كل شيء في هذه الدنيا ، في تحريفها للمبادىء ، وتثبيتها للمآسي ، في تأجيجها للحروب ، واكتنازها للمال ، واستعباد الناس واستغلالهم ، في ضرب القيم والتمسك بالمظاهر .. ومن ثم كان الحق مع فريد اذ اختلطت عليه الامور ، في عالمه الثاني (في القرن ٣٠) ، فلم يعد يميز بين الماضي والمستقبل وبين الحلم واليقظة .

بغداد يوسف عبد المسيح ثروة

فارس الفتح

مهداة الى منظمات العمل الفدائي كافة

رددي يا أمتي حلو النشيد   للمغاوير .. وللصبح الجديد
زمر جاؤوا مع الفجر الى   هذه الدنيا لتحطيم القيود
فاذا الليل حكايات ضحى   وأغاريد على سمع الوجود
وبدا الفرسان في حلبتنا   يتحدون المنايا .. كالرعود
يحملون الثأر هدار اللظى   فيعيد النصر تاريخ الجدود

يا بطولات الصحارى هللي   قد أتى الفارس مفتول الزنود
فافتحي عينيك للنجم الذي   ملأ الآفاق بالنور الجديد
وانظري الشرق .. يغني ثاره   بشباب الفتح .. بالسمر الاسود
وانهضي فالوحدة الكبرى دنت   انها عيد تضاهي كل عيد
درج « الفتح » عليها رائدا   فاهتفي يا أمتي هل من مزيد

حلمت كثبان رمل انه   سوف يأتي فارس الشرق المجيد
يا رمال البيد هيا وانثري   في طريق الفتح آلاف الورود
قد عهدناك تحبين العلا   والبطولات على مر العهود
ولد الصبح على أمتنا   يحمل النصر .. فيا نعم الوليد

أيها النجم الذي هل على   أرضنا .. بوركت يا نجم السعود
انها الايام أقسمنا على   ان نراها حلوة رغم الحقود
فاصنع التاريخ .. واضرب نفرا   لم يجيدوا غير اكثار الجحود
وامض يا رائد في ثورتنا   واخفقي يا رايتي فوق البنود
لن يموت الثار في أمتنا   أبد الدهر ، وتاريخ الصمود

يا عروس المجد يا بنت الوغى   نحن خضبناك من قلب الشهيد
نحن ارخصنا شبابا طامحا   وتحدينا اساطير الحديد
وملأنا الارض زحفا هادرا   والنا جبهة الدهر العنيد
وعقدنا العزم ان نحيا على   مفرق الشمس أباة كالجدود
نحن من شعب أبي بطل   يعشق الموت على درب الخلود

ان عرس المجد فينا قائم   في المغاني اليعربيات الحدود
فانفخوا فيه لهيبا كلما   أطفاوه .. وابدعوا كل جديد
يشهد التاريخ أنا أمة   تؤثر الموت على عيش العبيد
قد عشقنا المجد مذ جئنا الى   هذه الدنيا .. من الماضي البعيد
فاسألوا التاريخ عن ابنائه   نحن شيدناه صبحا للوجود

دمشق

محمد منذر لطفي
المقدم الطيار الركن

المعادلة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

قصة

ضرب عشواء .. شاب لم يتعد الثلاثين .. عروس في شهر العسل .. ثم خفير مسكين .. ومن يدري كم سيلحق بهم .. هل تتوقع ان يلقانا الغادر الليلة ؟..

قال الطويل ببرود :

ــ ليس ببعيد ..

تدافعت الكلمات مسرعة من بين شفتي القصير :

ــ ماذا ؟!.. وماذا سنفعل ؟.. انت تقول انه يتخفى ولا يبين لاحد ، فماذا نصنع لو فاجأنا ؟!..

ــ ...

على طريق متربة تقوم على جانبيها اشجار متباعدة .. وتكتنفها ظلمة متكاثفة .. كانا يتحركان كشبحين ، وكان احدهما يقصر الاخر بقليل .. قال القصير بصوت خفيض كأنه يحادث نفسه :

ــ ظلام + مجهول = خوف + ثرثرة ..

سمع الطويل كلام رفيقه فقال متضايقا :

ــ رحمتك يا رب .. الا يحرك فيك هذا السكون سوى الثرثرة ..

تساءل القصير باستنكار :

ــ وهل تعد ما قلته ثرثرة ؟.

رد الطويل :

ــ ان لم يكن كذلك فهو تبرير مسبق لثرثرة تنويها ..

ــ ابدا والله . .

ــ هو اذن شطحة من شطحاتك .

ــ ولا هذا ايضا ..

ــ فماذا يكون ؟..

ــ مجرد معادلة ..

ردد الطويل باستغراب :

ــ معادلة .. اية معادلة ؟! آ .. لكني لم اسمع بها من قبل ..

ــ ها انت سمعتها ..

ــ هل ترانا خرجنا الساعة لنثبت صحة معادلتك ؟.

ــ لا اظن اني كنت اعيها لحظة بدانا الرحلة ..

قال الطويل وهو ينفخ بغيظ :

ــ على اية حال الطرف الاول فيها غير مكتمل ... وبالتالي لن نقع فريسة للخوف والثرثرة .. فالزم الصمت من فضلك ..

لم يصمت القصير واردف يقول:

ــ وماذا ينقص طرفها الاول ..؟ اليس الظلام يطوينا في جوفه ؟..

ــ هذا صحيح .. لكن ليس ثمة مجهول .. فنحن نعرف وجهتنا .. وهذا الطريق مشيناه مرارا ..

ــ اظن ان اخر مرة مشيناه معا يوم جئنا نشيع رفيق صبانا ..

ــ انا مشيته وحدي بعد هـــده المرة ..

تقصد يوم جئت تشيعها ..

ــ بالضبط ..

بعد لحظات صمت لم يسمع فيها غير وقع خطواتهما وصفير الريح ، قال القصير :

ــ تصور ان الغادر قتل بعدها بأيام خفير الزراعة المسكين ..

ــ سمعت ذلك امس ..

ــ الحقيقة ان هـــذا الاختطاف المتلاحق بات يهز النفس ويحـــرك سخطها ..

ــ ومـــاذا يجدي السخط ازاء غادر يتخفى ولا يبين لاحد ؟..

ــ الذي يضايقني انه يضـــرب

ــ هل تراه يتركنا لو قلنا له اننا في الطريق الى سيدنا ؟.

ــ ...

ــ مالك ساكت ؟ هل تخاف ان يباغتنا الغادر الليلة ؟.. اظن انه لن يلقانا .. فها نحن قد اقتربنا من المقابر ولم تنشق الظلمة عن احد ..

فجأة ، شد القصير رفيقه من ذراعه وهو يقول :

ــ انتظر .. ارى شبحا هناك .. هل تلمح انت شيئا ؟..

توقف الطويل ولم ينبس بكلمة .

أشار القصير بيده الى الامام وهو يقول :

ــ هناك .. على الطريق امام المقابر ...

حملق الطويل في الظلام ثم قال:

ــ لا ارى شيئا .

ــ غير معقول .. ثمة شبح يتحرك على الطريق امام المقابر .. ايكون هو الغادر ؟..

علق الطويل قائلا :

ــ لعله المارد الذي كانت تحكي جداتنا عنه ..

ــ اوقت مزاح هذا ؟.. هل يصدقنا لو قلنا له اننا نقصد سيدنا؟

ــ من تعني ؟..

ــ الغادر ...

ــ وماذا لو كان المارد ؟..

قال القصير بنرفزة :

ــ اي مارد ؟.. حتما هو الغادر .. اتركني احادثه ولا تخف ... ايها .. بماذا اناديه ؟ فلأبجله ... ايها السيد .. نحن الاثنان نقصد سيدنا ، فلم نلقه منذ امد بعيد ، وحق علينا ان نجيئه كل حـــين لنستلهمه ونسترضيه .. وها نحن في الطريق اليه .. فاسمح لنـــا بالمرور .

لم يأته رد من الجانب الاخـــر فاستطرد :

ــ لا اسمعك تنطق بشيء ايهـــا السيد .. فماذا تعني بسكوتك ؟

تحول الى رفيقه لما لم يتردد في

الفضاء غير صدى صوته :

ـ انت .. مالك صامت انـت الاخر .. اتجه اليه وقل شيئا كي يتزحزح عن طريقنا ..

بقي رفيقه صامتا فصرخ بحنق :

ـ لماذا لا تنطق ..؟ هل خرست؟ اوه .. يا لك من غبي .. فلأتكلم انا .. ايها السيد .. لقد مشينا طويلا واوشكت الرحلة على النهاية ، وان كنت ترى ان سيدنا في غير حاجة الينا .. فنحن في شوق اليه .. وانها لفرصة نادرة ان نثوب الى انفسنا ونجد فسحة من وقت للقائه .. فدعنا نمر .. ولن نمكث عنده طويلا .. ما قولك في ذلك .؟ اظنك لا تمانع ؟..

سكت برهة واسترسل بخفوت :

ـ اف له .. ماذا يقصد بجموده هذا ..؟

عـاد يرفع صوته :

ـ ايها السيد .. الست تصدقنا .. نحن لا نغرر بك ولا نبغي خداعك .. اقسم لك اننا ما عزمنا علـى شيء غير لقاء سيدنا .. اغتنمنـا فرصة الاجازة ومجيئنا الى قريتنا الصغيرة .. انت تعرفها .. تلـك القرية الراقدة في اول الطريق .. وقلنا نأتيه قبل ان نعود الى البعـد ويستغرقنا نسيانه من جديد ..

تفجر سخطه فدمدم :

ـ اللعنة عليه .. لا يريد الكلام .

ثم توجه الى رفيقه قائلا بهدوء :

ـ لماذا لا تريد أن تسترحمـه معي ؟؟.. الا يحزنك ان نرجـع خائبين ؟... تكلم بربك فقـد يستجيب لرجائنا معا .. هيا انطق.

قال الطويل بتلعثم :

ـ ايها .. الـ .. السيد .

قال القصير مشجعا :

ـ هذا حسن .. اكمل ..

زعق الطويل بغضب :

ـ ماذا تريدني ان اقول ..؟ ثم انني لا ارى احدا ..

ـ اتخرف .. انه ماثل هنـاك فكيف لا تراه ؟؟.. امعن النظـر صوبه ولسوف تتحقق من وجوده .

ـ قلت لك لا ارى احدا قط .. عقب القصير :

ـ بل قل مـن خوفك غشـى بصرك ولم تعد تبصر حولك مـن الرعب .. لا فائدة منك .. سأتم المحاولة معه وحدي ..

ثم انطلق صوته يجلجل فـي الفضاء المظلم :

ـ ايها السيد .. ثمة فكرة .. ماذا لو تركت اولنا يمر وحده .. ثم الثاني .. فلربما تكون تخشـى لقاءنا مجتمعين .. اظن ان هـذا يجعلك اكثر اطمئنانا ، لكن بربك لا تغدر بنا .. فلا بد ان نتم رحلتنـا والا ما جدوى سيرنا الطويل .. على فكرة .. امثالك ممن يعيشون في عزلة وصمت يحنون احيانا الى لقاء الاخرين للتحدث اليهم او سماعهم ، فان كنت تريد مكوثنا ازاءك فتـرة من الزمان فلا ضير عندنا .. نحن نرحب بذلك بعض الوقت .. ها ها .. ها ها .. لا تؤاخذني ايها السيد .. ان ما تذكرته اللحظة وان كان يثير الغرابة الا انه يبعث ايضا علـى الضحك .. نعم .. نعم .. فمنذ قليل كنا نتحدث عن معادلة عنـت لنا فجأة .. وهي الان اكثر انطباقا على موقفنا هذا .. قلت لصاحبي .. ظلام + مجهول = خـوف + ثرثـرة ... وهـا هـو الظلام يفرقنا .. وهذا انت تكاد تكـون مجهولا .. اما نحن فنمثل طـرف المعادلة الاخر .. صاحبي يمثـل الخوف .. نعم .. انه يرتعد خوفا .. وانا امثل الثرثرة كما ترى .. امر مضحك للغاية .. لكأنني كنت اتوقع ذلـك واحسب حسابه .. معذرة .. فنحن كما اتفقنا نثرثر معا لفترة قصيرة .. لعلنا نطـرد الوحشة من حولك ... ونـزداد اقترابا منك .. والان فلتدعنا نمر ، وكما اشرت عليك .. فلنمر فرادى.

وتوجه الى رفيقه وقال :

ـ هيا انت .. هيا لا تخف ... امش في صمت ولا تنظر اليه وانت تمر به حتى لا يرتاب فيك .. هيا اسرع ..

ما كاد رفيقه يحتجب عنه حتى هتف :

ـ يا الهي .. لقد توارى عـن عيني .. هل اختطفه الغادر ؟..

وبصوت مرتفع استمر يقول :

ـ ايها السيد ، اين صاحبي ..؟ لقد وافقت على مرورنا فرادى .. فلم اختفى ؟.. انها خديعة منكرة ، ماذا تريد ان تفعل به ..؟ ان كانت نيتك ان تختطفه لتدفنه تحـت الشجرة القائمة عندك مثلما فعلت بالاخرين .. فسحقا لك ولها ... .. قل ما جدوى هذا الصنيع ؟ هل فيه انماء للشجرة ..؟ وهبه كذلك؟ فما شأنك انت ؟ هل انت حارسها؟ وهـل مهمتك ان تغذيها بأجساد ضحاياك ..؟ وماذا يعود عليك ..؟ انت غادر .. وعملك هذا ايا كـان مبرره .. قبيح ومنفر .. هــل تسمع ؟.. انت غادر .. وعملـك قبيح ومنفر !

ترامى اليه من وراء الظلام الممتد امامه على طول الطريق .. صـوت ضحك فغمغم مستغربا :

ـ يا الهي .. ما هـذا الـذي اسمعه ؟.. اني اسمع ضحكا ... فمن الذي يضحك هناك ؟.

اعقب الضحك صوت يناديـه فجعل يقول :

ـ وهذا صوت يناديني ... انه شبيه بصوت صاحبي .. طبعـا ليس صوته .. فصوت من ؟ لماذا لا اسأله ...؟ من ينادي ؟

جاءه صوت رفيقه :

ـ انا ، تعال اسرع ، لا احد هنا.

قال غير مصدق :

ـ ماذا ؟.. لا .. لا .. انـت تكذب .. بل لست انت .. لقـد

الصمت والعالم الذي اريد

●

الصمت من حولي بائـ ـسـاقي عنيف الوقع .. كاسر
والدرب ممتد .. بعيـ ـد مقفر الجنبات عاثر
والافق غشاه الضبا ب فعطلت عنه المحاجر
لا طيف يؤنس وحشة لا وهم يومض في السرائر
لا ظل راع لا .. ولا رؤيا تضيء سبيل عابر
فمتى سينحسر الظلا م وتعرك النور البصائر

★ ★ ★

يا عالما خلف المدى يهفو اليه كل سائر
تشتاقه منا النفو س شذاه يعبق في الضمائر
الحق فيه مشرع يفضي لديه كل قادر
والخير قد سار الرحا ب مرفرفا عبر المشاعر
وجماله ـ ابدا ـ رؤى يسعى بها شيطان شاعر

★ ★ ★

الصمت من حولي بائـ ـسـاقي عنيف الوقع .. كاسر
والدرب منفلت الخطى عار كأفواه المقابر

دمشق سلافة العامري

اختطفك الغادر وواراك تحت الشجرة ..

ارتفع صوت رفيقه :

ـ ها ها .. ها ها اي غادر ؟..
والله لا احد هنا مطلقا .. كان وهما ما رأيت ..

ـ كان وهما ما رأيت ..؟ وما قلت ؟.. كل ما قلت ..؟

وشرع يمشي بخطى متثاقلة وهو يتمتم شاردا :

ـ اذن هو خوف وثرثرة .. اوه .. سحقا للظلام والمجهول ...

وما لبث ان غاب في الظلام .

القاهرة اسماعيل علي اسماعيل



عبير قلب

ديوان شعر ـ روحية القليني ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

في تاريخ الشعر المصري الحديث معالم محددة ، هي بمثابة مصابيح تنير الطريق امام الباحث في هذا التاريخ كي يتم مسيرته .

وتبدأ هذه المعالم ـ في القاهرة ـ بالسيدة « عائشة التيمورية » حيث خرجت في اواخر القرن الماضي من قوقعة الحريم لتنشر شعرها على الناس ، فكان لها فضل المبادرة ، ولكن هذا الذي نشرته لم يكن غير « حلية طراز » (١) أعان على تنفيذها ، ما لأسرتها الجايلة من مكانة اجتماعية وثقافية ملحوظة .

كانت القلة من هذا الديوان شعرا منمنما يبدو فيه الجهد واضحا وراء تنسيق ألفاظه ، وكانت الكثرة فيه مواضيع انشائية منظومة ، ولا تكاد تعثر ـ في الديوان كله ـ على روح « عائشة التيمورية » الا في نفثتها الحارة بحق التي رثت بها فقيدتها « توحيدة » ولعل ذلك راجع الى نبع الامومة الدافق بالحزن ، ومع ذلك فالقصيدة لم ترتفع عن مستوى مثيلاتها من البكائيات المصرية المنظومة بالعامية الا بالقدر الذي تتيحه الفصحى كوعاء تعبيري أكثر حساسية وشمولا .

ثم كانت المرحلة « الثانية » وتمثلها السيدة « ملك حفني ناصف » التي حاولت ان تؤدي رسالتها كشاعرة يمكن ان تمثل جنسها في معركة تحرير المرأة ، تلك التي حمل لواءها « قاسم امين » الا ان زواجها من احد زعماء القبائل البدوية في مصر (٢) وخضوعها لتقاليد أسرته الكريمة جعلها تقتصر على المشاركة النثرية في بعض المشكلات النسائية بنشر مقالاتها ، موقعة باسم مستعار هو « باحثة البادية » هذا الى جانب ان الموت كان اسرع اليها من عودتها الى المجال الادبي لو انها رغبت فيه .

تأتي بعد ذلك المرحلة « الثالثة » ، وهي مرحلة الشواعر المصريات المتأثرات باتجاهات مجلة « ابولو » وهي مرحلة تسيطر عليها الافكار الرومانسية وتتميز بحسن اختيار موسيقى الكلمة ومن ابرزهن في هذه الفترة الشاعرة « جميلة العلايلي » وقد تأثرت السيدة « جميلة » بالدكتور « احمد زكي ابو شادي » صاحب المجلة فكانت صدى أنثويا لافكاره ، وظلت كذلك طيلة الفترة التي عاشتها مجلة « ابولو » ثم انصرفت بعد اعوام قليلة من توقف هذه المجلة الى نظم أشعار تتسم باتجاهها الديني نشرت معظمها بمجلتها « الاهداف » ..

واخيرا كانت الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من تغيير في تقييم المفاهيم الاجتماعية كنتيجة لتغلب بعض المذاهب الاقتصادية ثم ما فرضه التقدم الحضاري من توسع اعلامي والتقاء لثقافات عديدة وافتتاح آفاق جديدة من الدراسات النفسية ، هذا بالاضافة الى التأثر بالقلق النفسي الذي شاع في الغرب كنتيجة لموروثات حربين ضاريتين كل ذلك ألجأ الشعراء الى اتباع طرائق اخرى في التعبير الشعري ، رأوا انها اكثر موائمة لهذا التغيير .

وكان ان انطلقت شاعراتنا الى هذه المجالات الحديثة ، واذا منهن من ألقت بما تحمل من تقاليد موروثة في منطلق العاصفة وخرجت بشعرها الذي يكشف خفايا أنوثتها بحيث تنغرس في وجدان الناس بغير الاستئذان الذي عرفته المرأة الشرقية .

وكان منهن كذلك من تمسكت بالتقاليد الى الحد الذي لا يقيد الشاعرية ولا يجرح مدى المفهوم الشرقي لحياد الانثى وطبيعتها ، وذلك هو الفريق الثاني وفي مقدمته الشاعرة «روحية القليني » التي نحن بصدد شعرها في ديوانها الاخير « عبير قلب » والذي نقدمه في هذه العجالة .

ان شخصية « روحية القليني » واضحة لا تعرف التعقيد ، وكذلك شعرها فهو كصاحبته لا غموض فيه ولا التواء ، ولا يجهدك في أن تبحث له عن مدرسة من مدارس الشعر الحديث لترده اليها ، ذلك لانه ينتمي الى « المدرسة الام » الى الشعر في جوهره العام باعتباره وسيلةفنية تتحدث في صدق عن الاحساس بما يؤثر فيالنفس وتستعين على ابراز هذا الاثر بما تحمله الكلمات من شحنات عاطفية وموسيقية وتاريخية واجتماعية الى غير ذلك من مقومات فنية اخرى .

واذا كان غيرها من الشواعر قد انجرف مع تيار الشعر ذي التفعيلة الواحدة او الذي يقوم على عدة تفعيلات متغايرة وفي مقدمتهن الشاعرة « ملك عبد العزيز » فان البناء الشعري عند «روحية القليني » محافظ على العمود الشعري والقافية العتيدة ولكن القافية عندها طيعة لا تحس فيها « نبو الوتر » كما يقولون ..

والمعالم الرئيسية في شعر « روحية » واضحة كذلك ، ولعل المعلم الاول منها هو هذا الايمان العميق بالقيم الروحية .

وكما كان شعر « أبي العتاهية » في الزهد بمثابة رد فعل للحياة المسرفة التي كانت تعيشها بغداد في أيامه ، فان شعر « روحية » الذي يتميز بشيوع الايمان فيه ، يمكن اعتباره رد فعل للحياة الفكرية القلقة التي تجتاح الشرق في هذه الايام ، واذا كان كل فعل له رد فعل يساويه فان كمية الايمان الموجودة في شعر « روحية » تعادل كمية القلق الروحي الموجودة في اشعار مثيلاتها من شواعر الجمهورية العربية المتحدة .

وهذا الديوان الاخير « عبير قاب » يضم بين دفتيه ، فوق الذي يضمه من شعر عاطفي ثماني قصائد دينية عامرة الابيات ..

وقد يكون مرد هذا الاتجاه عندها انها نشأت نشأة دينية في اسرة محافظة كان احد افرادها الاوائل شيخا للازهر الشريف ، وفي شعرها ما يشير الى قيامها بالفروض الدينية من مثل قولها :

اصحو مع الطير في فجري مصلية   وان غفوت فذكر الواحد الصمد

وقولها ايضا :

ولكم اصلي علني بتقربي   يا رب بالصلوات قد تنجيني

وانك لتشعر بالقلق الروحي السائد في مجتمعها من هذه الاجابة الشعرية التي تدل بدايتها على الحيرة التي تواجهها وهي تجابه هذه الموجة فتقول :

---

(١) ذلك هو اسم ديوان الشاعرة عائشة التيمورية والاشارة غير المقصودة هنا هو ان شعرها كان نوعا من الحلى . (٢) تزوجت السيدة ملك ناصف من السيد عبد الستار الباسل أحد زعماء القبائل العربية بالفيوم . (٣) اخرجت المؤسسة المصرية للتأليف مجموعة أعمالها في كتاب واحد ضمن سلسلة تراثنا .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة .

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩ Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

يا ليت شعري ما أقول اذا سئلت عن الاله
أأقول جل عن السؤال عن الحديث عن الرواه
أأقول أعبده بايماني ولا أدعو سواه
وأحبه فيما ترى عيني وفيما لا تراه ..
في دمعة طي الجفون وبسمة فوق الشفاه
في الافق ممتدا على المجهول لا ادري مداه
ان قال كن أو لا تكن خضع الوجود لما يراه
أنا ان سئلت عن الاله أقول سبحان الاله

انها في هذه القصيدة تعلن تسليمها المطلق للمنطق الايماني الذي يملك عليها كل تفكيرها .

وربما كان ايمانها هذا هو مصدر كبريائها الذي يكون الاساس الثاني من الاسس التي قام عليها شعرها ، وهو كبرياء تلمسه ولا أقول تلمحه في كل قصائد هذه المجموعة ، كما تلمسه في مجموعتيها السابقتين « همسة الروح » و « انغام حالمة » ، كبرياء لم تخل منه قصائدها العاطفية ، استمع اليها وهي تقول :

كبريائي يحول دون سؤالي ... أؤثر الصمت حين ابدو امامه
في حنايا الجفون أخفي دموعي ... حين القاه عزة وكرامه
رغم حبي ورغم لوعة قلبي ... يملك القلب في اللقاء زمامه
ويدور الحديث في كل فن ... غير سر الفؤاد أخفي ضرامه
ولنفسي أسر همسة قلبي ... وبقلبي الابي أخفي غرامه
وابتسامي له على الرغم مني ... رغم أني أعيش في دوامه

من هنا كان حبها صامتا لا يعلن عن هوية الحبيب ولا يرسم له صورة نعرفه بها ..

وأروع ما في الحب صمت محير ... وجفن جفاه النوم من طول لوعة
وآهة قلب كلما لاح الفه ... تحيرت الالفاظ من حر حرقتي
ومعنى يضم الكون حبا ولهفة ... تترجمه العينان من غير كلمة

واذ تقول :

أنا لا أبوح ونبض قلبي كبرياء واختيال
سألوذ بالصمت العميق فلا جواب ولا سؤال

وفي مثل قولها :

خبروه انني غبت على رغم حنيني
أمرت عزة نفسي وتحدتني ظنوني
حدثوه عن بعادي فهو لا يدرك سره
عزة الفنان لا ترضى هوان الحب مره

وكذلك حين تقول :

هي الكبرياء سرت في عروقي ... تعذبني وتطيل التحدي
ترنح قلبي في موجتين ... أأبدي انا الوجد ام انت تبدي ؟

وقصة الحب التي نطالعها في هذا الديوان ، قصة عجيبة حقا ، فان وراء هذا الكبرياء نلمح شاعرة عاشقة فعلا ، ولكنها تتصرف في تسام دقيق ، و « روحية » في هذه القصائد تأخذ خاماتها من واقع الحياة التي تدور حولها ومن هنا بدت هذه القصائد في صورتها الطبيعية التي لا تكلف فيها على الاطلاق ، وأي تكلف هذا الذي يمكن ان يكون في هذه الابيات :

اذا نطقت ساعتي اربعة ... أطير الى هاتفي مسرعة
أدير على لهفات الفؤاد ... دوائر ستا ، له طيعه
وأصمت والقلب ينبض وجدا ... أطيل السكوت لكي أسمعه

ولقد يخفف علينا من مهمة توضيح الدوافع العاطفية التي وراء هذه الاشعار ان نستمع الى هذه الابيات التي شاءت الشاعرة ان تختتم بها ديوانها الرشيق « عبير قلب » ذلك حيث تقول :

فماذا لو انك كنت البداية ... وكنت أنا من هواك النهاية
وتسمع قصة قلبي المعنى ... فتفهم سر الهوى في حكاية
فؤادي وقلبك اسطورة ... أحبا ولكنما دون غاية

وقبل ان اختتم هذه الكلمة الموجزة ، احب ان اشير الى شعر الوجدان الجماهيري في الديوان فان الشاعرة « روحية القليني » تضرب على أحفل اوتار هذا الشعر بمعاني التضحية والفداء والشعور بالتبعات الجسام الملقاة على كواهل ابناء هذا الجيل ، وان لها في هذا الديوان من القصائد القومية الرائعة باقة نضرة حسبها ان رشحتها لدى اعلى المستويات الادبية في مصر فاختارتها لتمثيل بلادها في كل المهرجانات الشعرية التي اقيمت في أي ربع من ربوع الوطن العربي وكانت فيها جميعا قبلة انظار الجميع ..

الاسكندرية — **عبد العليم القباني**

•

رماد الليل

مجموعة قصص ـ تأليف عامر رشيد السامرائي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ببغداد

يتطلع القارىء العربي الى العراق الشقيق ويرسم على ملامحه الثقافية اشارة تعجب واستفهام . فلا يكاد القارىء يعثر على كتاب الا بجهد من هناك ، وان عثر ، فيكون ذلك دون رصد او ترقب ـ حتى غدت الملامح الثقافية للادب العراقي الحديث محلية جدا .. وكان انتاج العراق من الكتب مما يستهلك في الداخل وليس للنشر خارج العراق . والمعروف ان ما يوزع من الكتب العربية في هذا القطر يعادل الى حد كبير جدا ما يوزع في اكثر الاقطار الاخرى . وكانما حرم على العراق ان ينفتح باب النشر والتوزيع امام كتابه وادبائه في كافة الاقطار العربية الاخرى .

من منطلق هذا السؤال ، عاش الادب العربي الحديث في العراق ، وعاشت معه تطوراته الثقافية ، في معزل تام عن القراء العرب . وان كانت الايام قد اسعدتني بوجود بعض الاصدقاء من الكتاب يبعثون الي بغالبية ما يصدر لهم من مؤلفات ، فما اظن غيري قد قاسمني هذه الغبطة والسعادة .

اما القصة . والقصة القصيرة بشكل خاص ، فقد فرضت عليها العزلة الثقافية لان تتخذ طابعا محليا صرفا ، دون ان تتشابك وتتصارع مع مفاهيم القصة الجديدة المتطورة في الوطن العربي او العالم الغربي من جهة اخرى . وخلال فترة طويلة من الزمن لم تشهد المطابع في العراق تهتم الاهتمام اللائق بمكانة القصة .. وان كانت قد أعطت بين فترة واخرى بعض المجموعات القصصية التي لا يمكن للناقد ان يعتبرها فتحا جديدا في عالم القصة ، انما ذلك هو الامتداد الطويل للمفهوم القصصي الكلاسيكي القديم .

ولقد اعتبرت يوما من الايام مجموعة قصص « دمى واطفال » للكاتبة « سافرة جميل الحافظ » فتحا جديدا في تطوير القصة العراقية الجديدة ، لكن هذا الفتح الجديد لم يلبث ان انطفأ بظهور مجموعات قصصية اخرى اعادت القصة العراقية الى ثوبها القديم وكأنها لا تريد الخلاص منه .

ولا يعني هذا ان القصة العراقية قصرت في تناول موضوعات شتى في مختلف الانطلاقات الانسانية ، لكن المقصود فيما ذكرت هو السؤال التالي : هل هناك تطور فني في مفهوم القصة العراقية .. ام ان المفهوم القديم ما يزال سائدا حتى اليوم ؟ ..

في اغلب ما قرأت من قصص لكتاب عراقيين محترمين ، لم المح البوادر الجديدة الا في هذه المجموعة المسماة « رماد الليل » لمؤلفها « عامر رشيد السامرائي » . وعلى الرغم من انه لم يتفق لي ان قرأت قصة له من قبل ، لكنني عندما تناولت مجموعته هذه انفتحت أمام عيني كوى جديدة ، هي لوحدها الطريق الجديدة ، لانطلاقة المؤلف نحو العالم الواسع الكبير .

ورغم ان قصصه لا تتجانس فيما بينها ، لا يمكننا ان نعيب عليها عدم التجانس او التصنيف . وبالنسبة للمفهوم القصصي عند الكاتب فقد تجمعت لدي عدة ملاحظات هي ـ ولعل ابرزها ان اسلوبا ما او طريقة معينة لم تتبلور بعد لديه ـ فهو قد تارجح بين طرق ثلاث :

أ ـ الكلاسيكية المفرطة ، كما في قصة « الفرفة » و « مشكلتان » « والفش » .

ب ـ انتقالية بين مفهوم القصة القديمة ومفهومها الحديث ، كما في اغلب قصص المجموعة .

ج ـ حديثة او ـ جديدة ـ ، كما في قصة « كلمات لن تموت » .

وازاء التجارب المختلفة التي خاضها المؤلف في قصصه هذه ، ندرك تمام الادراك ان لديه طاقات هائلة من التكيف و « التكنيك » . واحسب ان المؤلف لم يحاول ان يجدد في معالجة قصصه التجديد الكامل ، اذ ليست لديه بعد ، القدرة الكافية على ذلك ، فاضطر لان يعود ـ في اغلب القصص ـ الى المفهوم الكلاسيكي البسيط ، هربا من الانزلاق والسير في طريق جديدة ، لكنه لم يدرك كم اصاب من النجاح في قصة « كلمات لن تموت » رغم انه يسير في طريق جديدة لاول مرة. واغلب الظن انه لو حاول مرة بعد مرة ، ومن جديد .. فسيكون نجاحه في القصة الجديدة ابعد شوطا واكثر انسجاما مع اسلوبه الرائع الرشيق .

والذي نراه في القصص ان الحدث الفعلي مفقود تماما ، مما يضطرنا الى القول بان المعالجة ذاتها تفقد ـ تحت تأثير انعدام الحدث ـ التسلسل الكامل لجو القصة العام . والقصة تذهب من تلقاء نفسها في تصرفات مفروضة ، وبالتالي من قبل هذا الجو نفسه . وقد حاولت ان اجد في اغلب القصص حادثة معينة استنفدت من الكاتب طاقته في معالجتها ـ بأي شكل ـ فلم اعثر عليها .. وان وجدت ـ الحادثة ـ في بعض القصص ، فقد بحثت دون ارهاق او اصرار او عند ، حتى جاءت سلبية تسير على وتيرة واحدة تخلو من دقة التصرف ومن سوئه احيانا .. كما في قصص (الدمع والمطر ـ الفش ـ رماد الليل ـ مشكلتان ـ الفرفة) .

يستثنى من ذلك القصص الوطنية الاربع (الشارع الخلفي ـ كلمات لن تموت ـ القطار ـ القاعة رقم ١٢) . على الرغم من ان في قصة « القطار » تكامل فني لم يبلغه الكاتب في قصة اخرى . وفي « كلمات لن تموت » شطحة فنية رائعة طرق فيها المؤلف باب القصة الجديدة بثقة وغنى رائع .

ولقد طرحت القصص التي امامنا عدة مشكلات ، لعل اهمها مشكلة ، السلبية والهروب . فقد لاحظنا ان اغلب ابطال القصص سلبيون ، هروبيون ، اتكاليون ، فبطل قصة « اليوم خمر وغدا » اثقلته الحياة باعبائها ، أستدان من كل الناس لكي يوفر لامه المريضة ثمن الدواء .. ثم تاخر ليلة عن الجلوس امام امه ، وفضل الحانة وتعاطي الخمر .. وعندما عاد الى المنزل وجد امه قد ماتت .

وقد مات بشكل ـ فعلي او مجازي ـ مجموعة اخرى من ابطال القصص ، اما الانسان المتمرد الوحيد الذي قابلناه ، في القصص ، هو بطل قصة « لكي يفر الصمت » الذي قتل زوجته الخائنة عندما عرف بامر خيانتها .

وصاحب الدار في قصة « الفرفة » فقد اقلع عن هدم الدار العتيقة بعد ان عرف ان الارواح تسكنها .. كذلك بقي بطل قصة « مشكلتان » حزينا كئيبا لان رئيسه في العمل يرى مساوئه ولا يرى حسناته .

وكذلك يتآمر الطالب التعيس في قصة « الغش » على نفسه في قاعة الامتحان ، بينما يتأكد من عين المراقب اليقظة ، ضاربا باحلام امه وابيه في زوايا افكاره الخالية .

وقد اضطر اغلب ابطال القصص لان يكشفوا عما في أنفسهم من خبايا وزوايا معتمة لم تولد لديهم سوى طاقات هائلة من اليأس والضجر .

لكن المؤلف ـ وهذا تقصير يسأل عنه ـ لم يلتفت الالتفات الكلي لمشاكل ابطاله ويعالجها من الداخل .. بل اكتفى بأن ورطهم في عادات الخمر والدخان ، فما ان يشعر احد هؤلاء الابطال بالسأم حتى يهرع الى الحانة .. او ينفث الدخان ويضيع وهما بين موجات الدخان الازرق الكثيف .

وقد بحثت ـ دون جدوى ـ في اكثر القصص عن حل جذري لتخاذل الانسان وهبوط همته وانعدام مشاعره واحساساته بالانطلاق والتمرد وفك القيود الراسية .. فلم اعثر على شيء من كل هذا .

واستعمل المؤلف (الرمز) وهو اداة فعالة رائعة في مفهوم القصة الجديدة ـ مرة واحدة فقط ، ولكن بسهولة ولين ، وبشكل يكاد يكون عابرا في قصة « الليل والضجر » .. فحينما كان البطل اليائس عائدا الى منزله ، التقى بيائس آخر في الطريق .. فذكره بنفسه ، واخذه الى بيته معه .. وحين سألته امه وهي تفتح له الباب :

ـ من هذا الذي معك ؟ .

اجاب :

ـ أنه بائس يا اماه ..

فقد رمز البطل هنا الى نفسه ، وجسد مأساته في هذا الانسان الذي لا يعرفه .. سوى انه بائس .

وتبقى في القصص عدة مواضيع ، منها موضوع عملاق بحثه المؤلف بسطور قليلة في قصة « الليل الابيض » ، قصة الصراع العنصري في امريكا ، وهو الموضوع الذي ظننت ان المؤلف سيسهب فيه اسهابا بالغا .. لكنه اختصر لنا لمحة عن حياة زنجي اسود يبحث عن عمل في مدينة الحرية .. واخيرا لا يجد هذا العمل .

وهناك لمحات الحب العابرة في القصص ، لم يتعرض لها المؤلف .. ولم يلج ذلك العالم الرحب ، بل صور لنا هذه العلاقات بشكل ميسر ومبسط .. ولم يخل ذلك من شحنات جنسية صارخة ، لكنها ايضا ذات جذور سطحية غير عميقة .

ونقف ازاء القصص الوطنية من هذه المجموعة موقف اعجاب تام .. ونلاحظ من خلال دراسة هذه القصص ، الخط الواضح الذي التزمه المؤلف تجاه قضية الانسان العربي المؤمن بعروبته اولا وقبل كل شيء .. ولعلها تجارب حسية عاشها المؤلف عيشا حقيقيا ، فكانت هذه القصص قمة المجموعة .

ومن هنا يبين لنا امر (الالتزام) .. هذا الالتزام المباشر تجاه الكفاح المستمر والمميت ضد طاغية العراق قاسم .. الذي احال جيلا من الشباب الى مناضلين شرفاء ، لم يستطيعوا ان ينسلخوا عن واقعهم المر ابان حكم هذا الطاغية . ولعلي اتذكر هنا كلمة قالها شيخ النقاد المرحوم الدكتور (محمد مندور) في موضوع الالتزام : (عندما يكون الكاتب انسانا ، فهو ملتزم بشكل غير مباشر) . ويمكنني ان اضيف : ان « عامر رشيد السامرائي » انسان بكل جلال الانسانية ، ولذا كان الالتزام عنده جزء لا ينفصل عن انسانيته .

ولقد تمنيت لو ان المؤلف كتب في المجال الوطني اكثر .. لان تلك المشاعر الصادقة ، تعكس عنده وفي أعماقه رهافة وسلامة القضية الوطنية .. فهو في هذه القصص لا يقبل الحل المؤقت او منتصف الحل .. اذ ليس في الوطنية انصاف حلول .

والاقدام المستميت الذي اندفع اليه « نزار » في قصة «القطار» .. مثل حي للبطولات الوطنية ، فلم ينس « نزار » وهو يئن تحت ضربات زبانية قاسم ان يردد هتافات القومية العربية بانفاس تكاد تحتضر .

كذلك تفعل الافكار الحرة فعلها في تنمية شخصية « عدنان » الوطنية بطل قصة « القاعة رقم ١٢ » ، ويجسد هذه الافكار السامية الى افعال ثم الى اندفاع في سبيل الحق العربي والانسان العربي الجديد .. فقد كان يردد ـ عندما كان يلفظ انفاسه الاخيرة : روحي فداء للعروبة التي سوف تحيا بضحايا امثالي .

وسط هذه العاصفة من الافكار والمواضيع التي بحثتها القصص ، نلتفت الى امر اخر وهو الاسلوب . فلعامر رشيد السامرائي اسلوب فريد ورشيق في آن واحد .. وقد استطاع ان يحمل افكاره للكلمات .. فكانت كلماته تنبض بالحركة والحس المتوثب الدائب ، فتلك الجمل القصيرة المتوترة استطاع المؤلف بفضلها ان يصور لنا مئات المشاعر ، حتى ان الكلمات ذاتها في سياق معين كانت ذات مدلول اكبر من المعنى الذي تحمله . وهذا الاسلوب اكثر ما تمتاز به القصة الجديدة التي تعتمد على الجو اكثر من الاعتماد على الحادثة .

اما اجواء القصص فملونة .. رغم ان اغلب الصور قاتمة معتمة .. اذ اننا لم نلمح ذلك الاشراق المبهج يلون القصص بألوان مفرحة جذلى .. لكن التشاؤم بأصبغة كثيفة كان يحدد الاطار العام للون القصة : فالضباب ، والمطر ، والدخان الازرق ، والوحل الكثيف ، كلها صور ذات اصل كئيب في الاعماق .

ان « عامر رشيد السامرائي » كاتب قصة جيد ، واني حين سأقرأ له مجموعته المقبلة ساكون متأكدا من بلوغه منزلة سامية بين كتاب القصة القصيرة المجيدين .. ولكن بعد ان يكون قد عبد الطريق . وبأمانة وصدق اقول ان المستقبل سيكون له .. لانه بالفعل استطاع في هذه المجموعة ـ على الرغم من وجود بعض الثغرات ـ ان يبرهن على انه يملك الاصالة الى جانب الفن .. ومتى اجتمعت الاصالة بالفن غدا من السهل الوصول الى ابعد طريق .

حمص — عدنان الداعوق

أعلام واصحاب أقلام

تاليف انور الجندي ـ ٤٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

صدر مؤخرا كتاب « اعلام واصحاب اقلام » للكاتب العربي الموسوعي الاستاذ انور الجندي والكتاب يعطينا صورة قوية وصادقة لروح عصرنا في شرقنا العربي في فجر يقظته ممثلة في اعلام الادب والعلم والتاريخ والفن والطب واللغة والصحافة .

والمؤلف يعطينا صورة شاملة، متكاملة لهذا العصر (١٧٥٤ ـ ١٩٥٠) ويبين لنا في صورة موضوعية ومنهج سليم نضال هؤلاء الاعلام الذين حملوا لواء القلم وجاهدوا في ميادين الفكر والثقافة والصحافة في ايمان صادق متين بتراثهم وامتهم .

ولكن ماذا يعطينا هذا الكتاب ؟ ..

ان كتاب اعلام واصحاب اقلام يقدم لنا الوانا متباينة من الجوانب السياسية والفكرية والاجتماعية في شرقنا العربي منذ فجر اليقظة حتى انطلاقته من خلال اثار اعلام مناضلين شرفاء خدموا وطنهم أعظم المجالات واجلها في شتى الميادين .

وقد ابرز الاستاذ انور الجندي جوانب مجهولة في حياة الكثير من الاعلام الذين تناول سيرتهم واثارهم وآراءهم ومن ذلك ابرازه جانب مجهول من حياة الوطني الكبير محمد فريد فقدمه لنا كمؤرخ وهذا الجانب كان مجهولا لنا وتناول المؤلف بنظرة موضوعية وافق رحب اثار شخصيات مناضلة على الصعيد العربي والاسلامي فتحدث مثلا عن البشير الابراهيمي الكاتب الجزائري وجمال الافغاني والشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي ومحمد عياد طنطاوي وشبلي شميل والدكتور منصور فهمي وحفني ناصف والجبرتي وغيرهم .

تحدث هذا الكتاب عن الصراع بين الجانب المتمثل الذي يمثله معظم اعلام هذا المؤلف والجانب المتحرر مثل شبلي شميل والمعارك والمساجلات التي دارت بينهما كما ابرز المؤلف اهم الاتجاهات الاجتماعية والعقلية والفكرية في الحياة المصرية والحياة العربية في فجر اليقظة .

كما انه تناول الدعوات الجديدة التي كانت فتحا مجيدا في عالم الفكر والاجتماع ممثلة في محمد عبده وقاسم امين وغيرهما من الاعلام المصلحين .

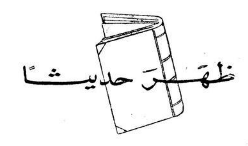
لقد اتبع الاستاذ انور منهجا موفقا في هذا الكتاب النفيس فهو على دراية واسعة بتيارات الفكر في تلك الحقبة الطويلة ، وهو مستوعب تمام الاستيعاب لاثار هؤلاء الاعلام ، كما انه مستقل الشخصية يبدي آراءه من خلال ما يكتبه عن هؤلاء الرواد بلا تعصب او محاكاة .

وله قدرة واضحة على تمثيل شخصية كل علم وآرائه تمثلا تاما ، واجتهاده في ان يعيش مع كل عام في عصره ومع افكاره ليستجلي عبقرية هذا العلم المفكر .

ثم ماذا ؟ ان انور الجندي ذلك الجندي المجهول الذي يعمل في صمت بعيدا عن الضجيج والاضواء يبدو حريصا دائما على شرف الكلمة واستقلال شخصيته أمين مع نفسه ومع قارئه واقول صادقا ان الاستاذ انور قد أدى للادب والفكر والتاريخ خدمة جليلة بوضعه هذا المؤلف الشامل القيم الذي يعتبر موسوعة غنية بشتى فروع الفكر والثقافة والذي يرسم صورة مشرقة لاعلام مخلصين اضافوا جديدا لتاريخنا المعاصر في شتى الميادين والمجالات .

وبعد فان كتاب اعلام واصحاب اقلام يعد من امتع واوفى وأدق الكتب التي تناولت تاريخ شرقنا العربي في فجر يقظته من خلال أعلامه ورواد فكره وثقافته .

القاهرة **محمد محمود رضوان**



- الثاني الوجودية لرابع العدوي ـ شعر ـ عبد الحكيم مراد ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة البيان ببيروت .
- اللغة في القرآن الكريم : اعراب وبيان ـ الجزء الاول ـ سورة الفاتحة ، سورة البقرة ، سورة آل عمران (الى الآية ٣٠) وضع لجنة من اللغويين باشراف غالب وجبران ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- بين القومية العربية والجامعة الاسلامية ـ تاليف عبد الهادي بو طالب ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الكتاب بالدار البيضاء المغرب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- وثائق النكسة تحت اضواء التجربة المرة ـ اعداد دار الكاتب العربي ـ تقديم قدري قلعجي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- تحت ـ مجموعة شعرية ـ جوزف نجيم ـ ١٤٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ مطبعة جريدة الجمهورية ببيروت .
- صلوات .. للفجر الطالع ـ شعر ـ خالد المحادين ـ ٨٠ صفحة ـ المطبعة الهاشمية بعمان الاردن .
- جون لوك : دراسة نقدية لفلسفته التجريبية ـ تاليف الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات دار الطلبة العرب بيروت ـ مطبعة منيت برس بيروت .
- وليم جيمس : بعض مشكلات الفلسفة ـ ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطلبة العرب بيروت ـ مطبعة منيت برس بيروت .
- المنطق ومناهج البحث ـ تاليف الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطلبة العرب ببيروت ـ مطبعة منيت برس ببيروت .
- اصوات في المدينة ـ مجموعة قصص ـ تاليف موسى كريدي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اصول الدين الاسلامي : عرض ودليل وتحقيق ـ تاليف محمد علي ناصر قاضي صيدا الجعفري ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- محمد في مكة ـ تاليف مونتجومري وات ـ ترجمة شعبان بركات ـ ٢٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ المطبعة العصرية بصيدا لبنان .
- الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر : مشكلات الاسرة والتكافل ـ تاليف الدكتور محمد البهي ـ ٤٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- مشكلات الشرق الاوسط : الوطن العربي ـ تاليف ابراهيم علوان ـ الجزء الاول ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب ـ تاليف نجدة فتحي صفوة ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .